MA6 ي 552 24/013

سجل تحت رقم 06/2876
بتاريخ 2011/03/16
الرقم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التـــاريخ و علم الآثار

مكتبة العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية ★ جامعة أبو بكر بلقايد ★ تلمسان
مكتبة الطالب الكفيف

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ السياسي و الثقافي للمغرب الإسلامي

الروابط الثقافية بين الدولة المرينية و دولة بني نصر في الأندلس

ق 7 – 10 هـ/ ق 13 – 16 م

إعداد الطالب :

عبد الله طويلب

إشراف الدكتور:

بودواية مبخوت

أعضاء لجنة المناقشة :

د. لخضر عبدلي	أستاذ محاضر أ .جامعة تلمسان	رئيسا
د. بودواية مبخوت	أستاذ محاضر أ . جامعة تلمسان	مشرفا
د. جيلالي بلوفة عبد القادر	أستاذ محاضر أ . جامعة تلمسان	عضوا
د. كريم ولد النبية	أستاذ محاضر أ . جامعة سيدي بلعباس	عضوا
د. عبد المجيد بوجلة	أستاذ محاضر ب. جامعة تلمسان	عضوا

مكتبة العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية ★ جامعة أبو بكر بلقايد ★ تلمسان
مكتبة الطالب الكفيف

السنة الجامعية : 1430-1431 هـ / 2009-2010 م

الـــمـــلخـــص

يتناول هذا البحث موضوع العلاقات بين الدولتين المرينية و بني نصر بين القرنين السابع و العاشر الهجريين ، ذلك من خلال التطرق للأوضاع السياسية و الثقافية في كلتا الدولتين ، مع التركيز على الروابط التي كانت بينهما خاصة الجانب الثقافي ، و إظهار العوامل و الأسباب المتحكمة فيها مع إبراز المظاهر التي نتجت عن ذلك في كلتا الدولتين .

الكلمات المفتاحية : الدولة المرينية ، دولة بني نصر ، الروابط الثقافية ، القرنين السابع ، العاشر هجري ، المغرب الأقصى ، الأندلس .

Le résumé

Cette mémoire étudie les rapports unissant l'état Mérinide et L'état Beni Nassr entre le septième et le dixième siècle de Higri . En effet , nous mettons en relief les liens politiques et culturels èchangés entre les deux états , durant cette période. Par ailleur, nous évoquons les facteurs et les causes régissantes les rapports existants entre les deux états.

Mots clés : l'état Mérinide , l'état Beni Nassr , les relations culturels , le septième siècle , le dixième siècle , le Maroc , l'Andalus .

Summary

This research studies the relations that gathered the Marinid and Beni Nassr states , between the seventh and the tenth century A.H (After Hijra) . In fact ,we hightlight the political and the cultural relationship exchanged between the two states during this period .
Furtheremore , we tackle the factors as well as the causes , to show the relationship that exist between the two states.

The key words: the Marinid state , the Beni Nassr state , the culturals relationships , the seventh century , the tenth century , Morocco , Al-Andalus .

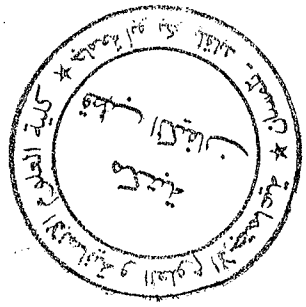

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة ، خاصة الأستاذ المشرف الدكتور مبخوت بـــودوايـــة الذي كان له فضل كبير في توجيهي خلال كل مراحل البحث.

كما أشكر كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة تلمسان الذين ساهموا في تكويني طوال مراحل الدراسة .

و إلى كل عمال المكتبات الذين قاموا بتسهيل عملية البحث

كما أشكر السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين سيناقشون هذه المذكرة .

إهداء

أهدي هذا العمل إلـــــى أمـــــي

و أبـــــــــــــي و إلى

إخـــــوتـــــي

مقدمة

عرف العالم الإسلامي غربه وشرقه ، خلال القرنيين السابع و العاشر الهجري ، تحولات سياسية كبرى ، كانت أبرز سمات هذا التحول اضمحلال دول إسلامية كبيرة ، ففي المشرق سقطت الخلافة العباسية على يد المغول سنة 656 هـ / 1258 م ، و في المغرب سقطت الدولة الموحدية على يد المرينيين سنة 1269 م ، مما أدى إلى قيام دول أخرى مكانها ، أفرزها الضعف الداخلي الذي كانت تعاني منه هذه الدول نفسها. وكانت صور هذا التحول متباينة ، فمنه ما وقع على شكل اقتطاع أجزاء معينة من مساحة تلك الدول الواسعة ، التي كانت في مراحلها الأخيرة من العمر ، ثم إحكام السيطرة على هذه المنطقة المقتطعة و اتخاذها قاعدة للانطلاق ، أملا في توسيع النفوذ ، كلما أتيحت الفرصة مع الإبقاء على نفس النفوذ الذي كان للدولة السابقة ، لتكون وريثتها في الحكم ، مثلما حدث في بلاد المغرب عقب ضعف الدولة الموحدية (564-667 هـ /1130-1269 م) ، حيث بادرت الزعامات السياسية (القبائل) المنتشرة في أرجاء المغرب الإسلامي إلى إقامة دول مستقلة ، مستندة إلى العصبيات القبلية المنتشرة بشكل قوي . فقامت الدولة الحفصية في إفريقية (625-941 هـ / 1231-1534 م) مستقلة بالأمر ، دون السلطة الموحدية المركزية في مراكش . استطاعت هذه الدولة أن تبسط نفوذها في البداية على جميع بلدان المنطقة ، وترد عليها البيعات والولاءات من جهات مختلفة ، وكانت هذه الدولة في حد ذاتها الامتداد الشرعي والسياسي للدولة الموحدية .

قامت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط (633-969 هـ / 1235-1373 م) متخذة من تلمسان قاعدة لها. واستطاعت هذه الدويلة الصغيرة بفضل بعض أمرائها الأقوياء أن تصمد في وجه التوسعات المرينية و الحفصية مدة طويلة من الزمن . كما استطاعت أن تؤثر أحيانا كثيرة ، في مجريات الأحداث السياسية في المغرب الإسلامي ، رغم ضعفها وموقعها الجغرافي الغير مساعد .

ظهرت الدولة المرينية في فاس (591-875هـ/1195-1470 م) بعد صراعها الطويل مع الخلافة الموحدية ، كما أنها كانت تقاوم على جبهات عديدة ، فعانت كثيرا من الصراع مع الدولة الزيانية طوال مدة وجودها خاصة إبان قيامها .

استطاعت هذه الدولة الفتية أن تنزل هزيمة كبيرة بالموحدين في مراكش ، فتستقل بالنفوذ عن المغرب الأقصى ، كما استطاعت - ولكن لمدة قصيرة - أن تبسط نفوذها على مساحة جغرافية كبيرة ، تقارب تلك التي كانت تحت يد الموحدين أيام صولتهم .

فسيطرت على إفريقية و تلمسان ، وعلى قواعد من الأندلس ، ونالت موالاة سلاطين الأندلس فاستحقت بذلك أن تكون أقوى دول المنطقة .

من الأشكال التي قامت بموجبها بعض الدول في العالم الإسلامي ، ما وقع في الغرب الإسلامي ، تحت تأثير شعور المسلمين بالمسؤولية اتجاه الزحف الصليبي في الأندلس على الأراضي الإسلامية ، فكان الهدف تأسيس دولة تعمل على إيقاف هذا الزحف ، في محاولة لاسترجاع القواعد ، التي احتلها المسيحيون ، حيث قامت دويلة صغيرة على جزء من الساحل الشمالي للبحر الأبيض المتوسط ، جنوب شرق الأندلس (إسبانيا) ، متخذة من مدينة غرناطة عاصمة لها.

استطاعت هذه الدويلة أن تصمد زمنا طويلا ، رغم الظروف الصعبة التي كانت تحيط بها من كل جانب ، عرفت هذه الدويلة في التاريخ بالدولة النصرية ، أو دولة بني الأحمر (629-897هـ/ 1262-1492 م) ، كما عرفت أوج ازدهارها على عهد لسان الدين ابن الخطيب .

هذا ما دفعني إلى دراسة هذه الفترة الزاخرة بالأحداث من تاريخ المغرب الإسلامي ، مع التركيز على العلاقات الثقافية بين هذه الدول عامة و الدولتين المرينية و النصرية خاصة ، فقد تميزت العلاقات بين هاتين الدولتين بالقوة أحيانا و التوتر أحيانا أخرى ، إلا أن ذلك لم يؤثر على العلاقات الثقافية بين الدولتين ، كما أن حركة تنقل العلم و العلماء بين الدولتين لم تنقطع طوال فترة وجود الدولتين ، و ذلك لأن معظم ملوك الدولتين عملوا على تشجيع العلم و الإهتمام بالعلماء بغض النظر عن الصراعات التي كانت بينهم .

إن موضوع العلاقات الثقافية بين الدولتين المرينية و النصرية من المواضيع ساعد في دراسة الجوانب الأخرى من تاريخ المغرب ، فهو يسلط الضوء على جزء كبير من تاريخ المغرب الإسلامي ، كما أن هذه الفترة تعتبر من أزهى عصور تاريخ المغرب الإسلامي ، إذ عرفت هذه الفترة زخما كبيرا من العلم و العلماء ، و خير دليل على ذلك أنها ضمت في طياتها أشهر العلماء مثل ابن خلدون ، لسان الدين ابن الخطيب ، ابن مرزوق الخطيب و غيرهم من العلماء .

نظرا لما يكتسيه هذا الموضوع من أهمية في دراسة الجوانب الثقافية لكلا الدولتين و توضيح العلاقة التي كانت بينهما ، فقد عملت على دراسة هذا الجانب من جوانب تاريخ المغرب الإسلامي ، حيث أنه لا توجد دراسات كثيرة متخصصة في هذا المجال .

إن الإشكالية التي يطرحها هذا الموضوع هي : إن الدولتين النصرية و المرينية دولتين عربيتين إسلاميتين كان بينها خلافات سياسية كثيرة إلا أن العلاقات الثقافية لم تنقطع بينهما ، فما السبب في ذلك ؟ هذه الإشكالية تفرعت عنها عدة تساؤلات نسعى من خلال دراسة الموضوع إلى الإجابة عنها ، فما هي الأوضاع السائدة في الدولتين ؟ و هل كان لها تأثير على العلاقة بينهما ؟

ما هي العوامل و الأسباب التي ساهمت في ربط العلاقات الثقافية بين الدولتين ؟ و إلى أي مدى وصلت إليه العلاقات الثقافية بين الدولتين ؟ و هل كان للجانب السياسي دور في ذلك ؟

في ما تمثلت هذه الروابط و ما هي أهم مظاهرها ؟

من أجل الإجابة عن هذه التساؤلات قسمت الموضوع إلى مقدمة ، مدخل و ثلاث فصول ، جاء في المدخل نظرة عامة عن الدولة الموحدية في أواخر أيامها ، أما الفصل الأول فتناولت فيه الأوضاع السياسية في الدولتين ، و ينقسم إلى مبحثين ، المبحث الأول تطرق إلى نسب بني مرين و قيام دولتهم في المغرب الأقصى و توسعاتهم ، و المبحث الثاني يتناول الدولة النصرية في الأندلس مع مؤسسها و نسبهم و نبذة عامة عن دولتهم .

الفصل الثاني يتطرق إلى الأوضاع الثقافية في الدولتين ، و ينقسم إلى مبحثين ، كل مبحث يتناول المؤسسات الثقافية ، أصناف العلوم و أهم العلماء الذين برزوا فيها .

الفصل الثالث يتناول العلاقات الثقافية بين الدولتين ، و يضم مبحثين ، المبحث الأول العوامل و الأسباب المتحكمة في العلاقات الثقافية بين الدولتين ، و المبحث الثاني جاء فيه ذكر مظاهر التواصل الثقافي بين الدولتين . و في الأخير خاتمة حول الموضوع .

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي بحكم أن الموضوع تاريخي ، و ذلك من خلال وصف الأحداث التاريخية و سردها ، بالإضافة إلى تحليل هذه الأحداث و المقارنة بين الدولتين من حيث طرق و أساليب التعليم و دور العلماء في ذلك ، و في الأخير الوصول إلى الخاتمة التي تحتوي على النتائج المستخلصة من الموضوع .

من الصعوبات التي واجهتني في دراسة هذا الموضوع قلة الدراسات المتخصصة في هذا المجال (الروابط الثقافية بين الدولة المرينية و النصرية) ، مما يستدعي استقراء مصادر تاريخ الدولتين و استنباط الجوانب الثقافية لكلا الدولتين و العلاقة بينهما .

اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر التي تناولت موضوع الروابط الثقافية بين الدولتين المرينية و النصرية ، فكانت متنوعة تاريخية ، جغرافية ، كتب الرحالة ، بالإضافة إلى مراجع ودراسات حديثة عربية وأجنبية اهتمت بتاريخ الدولتين المرينية و النصرية ، ومن أهم هذه المصادر نذكر:

– **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس:** لصاحبه علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي ، ويتناول في هذا الكتاب تاريخ المغرب الأقصى من سنة 145هـ إلى 724هـ ، والملاحظ أن ابن أبي زرع اعتمد في كتابه على عدة مصادر أخرى أغفل ذكر معظمها ، كما اعتمد على وثائق رسمية خاصة عندما تحدث عن الأسرة المرينية وحكامها .

– **كتاب روضة النسرين في دولة بني مرين** : لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر النصري الأمير الغرناطي الكاتب الشاعر المتوفّى سنة 807هـ/ 1404م ، يتناول هذا الكتاب تاريخ بني مرين بشكل خاص ، فهو بمثابة سجل يتضمن أسماء ملوكهم وألقابهم وأنسابهم وتواريخ ميلادهم و ولايتهم و وفاتهم ، مع وصف ملامحهم الخلقية وذكر رجال دولتهم من وزراء وحجّاب وقضاة وكتّاب وما خلّفوه من بنين وبنات فهو يشبه إلى حد ما سجلات الحالة المدنية في أيامنا هذه .

مع العلم أن ابن الأحمر نقل كثيرا من الفقرات عن الذخيرة السنية وروض القرطاس دون إسناد .

– **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** : لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون 732هـ- 808م / 1332هـ- 1406م ، و يتضمن هذا الكتاب معلومات هامة عن تاريخ دويلات المغرب الإسلامي بما فيها دولة بني عبد الواد ، بني مرين ، بني حفص و بني نصر وما كان بينها من علاقات ، وقد اعتمدت بشكل خاص على جزئه السادس والسابع لما فيهما من مادة تاريخية متعلقة بموضوع البحث .

– **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية** : لمؤلف مجهول ، و هو كتاب أرّخ للدولة المرينية ، فقد جاء زاخرا بالأخبار السياسية والعلمية وبعض المعلومات الاقتصادية والاجتماعية وغلاء المعيشة وارتفاع أسعار المواد الغذائية والحالة الصحية .

قسم المؤلف الكتاب إلى عشرة أبواب ، أولها في ذكر بني مرين ونسبهم وقبائلهم أما الأبواب الأخرى فخصها لذكر أمرائهم بدءا بجدهم عبد الحق ثم أبي سعيد عثمان ، فمحمد بن عبد الحق، فأبي يحي بن عبد الحق ، فأبي يوسف ، فأبي يعقوب فأبي ثابت ، فأبي الربيع سليمان ، فأبي سعيد الذي خص له الباب العاشر . وتكمن أهمية الكتاب في اعتناء المؤلف بالعلاقات بين ملوك فاس وملوك غرناطة ، مع شرح مفصل ومطول .

– **كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج** : لصاحبه أحمد بابا التنبكتي (ت 963هـ/ 1036م)، وقد وضع هذا الكتاب ليكون ذيلا على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المدني المتوفى سنة 799هـ ، فهو مشارك للديباج المذهب في جوانبه الثقافية والفكرية التي ذكرها صاحب الديباج المذهب . والكتاب يضم تراجم علماء المالكية الذين فاق عددهم ثمانمائة عالم وفقيه من فقهاء المالكية وقد اعتمدت عليه في التعريف ببعض الفقهاء والعلماء النصريين والمرينين الذين ساهموا بشكل كبير في إثراء الحياة الثقافية والفكرية في المغرب الإسلامي .

– **كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة** : لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ/ 1374 م) ، حققه محمد عبد الله عنان ، وينقسم هذا الكتاب إلى أربع مجلدات ، المجلد الأول يضم قسمين ، القسم الأول يهتم بذكر الأماكن و المعاهد و السكان ، أما القسم الثاني ففيه ذكر من رحل من غرناطة و من ارتحل إليها . المجلد الثاني يتناول مجموعة من التراجم لشخصيات هامة عاشت في غرناطة أو هاجرت إليها في مختلف عصور التاريخ الإسلامي . المجلد الثالث و هو تتمة لما جاء في المجلد الثاني . المجلد الرابع هو أيضا تتمة للمجلدين الثاني و الثالث ، و تكمن أهمية هذا الكتاب في الإلمام بمعظم مشاهير و علماء غرناطة السابقين أو المعاصرين له .

– **كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصرية** : لمؤلفه لسان الدين ابن الخطيب ، ينقسم إلى خمسة أقسام ، القسم الأول خاص بذكر مدينة غرناطة ، القسم الثاني يتناول أقاليم غرناطة، القسم الثالث يتطرق إلى أمراء غرناطة قبل الفترة النصرية ، القسم الرابع جاء فيه ذكر عادات و طبقات المجتمع الغرناطي ، القسم الخامس و هو المهم في هذه الدراسة يتطرق إلى ملوك بني نصر و وزارئهم وما حدث خلال حكمهم .

و من المراجع المهمة :

– **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر المريني** : لمحمد عيسى الحريري ، هذا الكتاب فيه إلمام واسع بكل جوانب تاريخ الدولة المرينية ، خاصة الجانب السياسي . و هو ينقسم إلى ستة فصول ، الفصل الأول يتناول قيام دولة بني مرين ، و الفصل الثاني خاص بالتوسعات المرينية ، الفصل الثالث يتطرق إلى المرحلة الأخيرة من الدولة و سقوطها ، الفصل الرابع يتناول العلاقات الخارجية للدولة ، الفصل الخامس يتناول النظم الإدارية و العسكرية ، أما الفصل السادس فجاء فيه ذكر الأوضاع الإجتماعية و الثقافية في الدولة .

– **نهاية الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين** : لعبد الله عنان ، حيث يتناول هذا الكتاب تاريخ الأندلس بالتفصيل من قيام الدولة الموحدية إلى الدولة النصرية ، ثم سقوط الأندلس و هجرة مسلمي غرناطة نحو بلاد المغرب الإسلامي ، فهو يعطينا معلومات كثيرة و متنوعة استقاها من المصادر الأندلسية المغربية .

– **تاريخ الفكر الأندلسي** : لصاحبه المستشرق أنخيل جنثالث بالنثيا، و الذي يتناول فيه مختلف الجوانب الحضارية و الثقافية في الأندلس طوال الوجود الإسلامي فيها ، و حتى بعد ذلك ، إذ يتطرق إلى مختلف العلوم و أهم العلماء الذين برزوا فيها .

و من الرسائل الجامعية نذكر :

– **العلاقات السياسية و الثقافية بين الدولتين الزيانية و المرينية** : مذكرة ماجستير لبكاي هوارية ، حيث نجد فيها ثلاث فصول ، الفصل الأول يهتم بالجانب السياسي للدولتين، أما الفصل الثاني ففيه ذكر للجوانب الثقافية في الدولتين ، و الفصل الثالث يتناول العلاقات الثقافية و السياسية بين الدولتين .

بالإضافة إلى مجموعة هامة من المصادر التاريخية الأخرى ككتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوي الناصري ، و كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن لابن مرزوق الخطيب والتي استفدت منها كثيرا فيما يتعلق بتاريخ المرينيين السياسي والثقافي ، بالإضافة إلى كتاب نفح الطيب للمقري ، وكتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي ورحلة العبدري، رحلة ابن بطوطة ، رحلة القلصادي ، وعنوان الدراية للغبريني وغيرها من المصادر التي لا يسعني ذكرها كاملة ، يضاف إليها مجموعة من المراجع العربية و الأجنبية والمجلات التي تناولت تاريخ الدولتين .

مدخل

تعد دولة الموحدين[1] من الدول العظيمة التي قامت في بلاد المغرب على مدار التاريخ الإسلامي ، حيث استطاعت توحيد بلاد المغرب بأقسامه المختلفة من برقة شرقا إلى البحر المحيط غربا ، و من سواحل البحر الرومي إلى مشارف إفريقية المدارية جنوبا ، بالإضافة إلى سيطرتها على بلاد الأندلس[2] ، و كان لها إسهاماتها الحضارية في جميع الميادين ، إلى أن أطل القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي لتبدأ مرحلة جديدة و فصل جديد من فصول التاريخ المغربي المتمثل في الدول المستقلة الزيانية و الحفصية و آخرها دولة بني مرين سنة 668 هـ / 1269 م على أنقاض الدولة الموحدية التي انهارت بفعل العوامل التالية :

– **أولا** : ضعف الجبهة الداخلية الموحدية و تعرض أمنها الخارجي للخطر و التهديد ، فقد تمرد بنو غانية[3] أمراء ميورقة[4] على الدولة ، و أجازوا البحر في أساطيلهم إلى بجاية[5]

---

(1) يعتبر المهدي بن تومرت (ت 524 هـ/ 1130 م) الزعيم الروحي و المؤسس الفعلي لهذه الدولة ، إذ بدأ بالدعوة إلى قيامها سنة 515 هـ/1121 م . عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد السعيد العريان ومحمد العلمي ، القاهرة 1949 ، ص 178 . ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط 1972 ، ص 176 . Atallah Dhina , Les Etats de l'occident musulement aux 13,14,15 siècle , opu-enal , alger 1984, p 100 .

(2) عبد الواحد المراكشي ، المصدر نفسه ، ص 230 .

(3) بنو غانية ، أسرة من القادة المرابطين اشتهرت بالمغرب و الأندلس ، و حينما انهارت دولة المرابطين استولوا على الجزائر الشرقية (أكبرها ميورقة) فأقاموا بها دولة مستقلة ، و لم تتخلص الدولة الموحدية من شوكتهم إلا عندما قام الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص بسحقهم سنة 606 هـ/ 1209 م . لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق وتقديم محمد عبد الله عنان ، ج1 ، دار المعارف ، القاهرة 1956 ، ص 311 .

(4) ميورقة جزيرة تقع شرقي الأندلس ، بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة ، و سقطت بيد الإسبان سنة 627هـ/1230 م . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، دار صادر ، بيروت 1977 ، ص 246 . عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط1 ، مكتبة لبنان ، بيروت 1975 ، ص567 .

(5) بجاية هي مدينة عظيمة على ساحل البحر ، و البحر يضرب في سورها ، تقع بين إفريقية و المغرب ، و تسمى الناصرية أيضا ، و هي من المدن المزدهرة تجاريا و زراعيا و صناعيا . مؤلف مجهول ، الإستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1986 ، ص 128 . ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص 339 . الحميري ، الروض المعطار ، ص81 .

و استولوا عليها سنة 581 هـ / 1185 م في أيام حكم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بن يوسف (580-595 هـ/ 1184- 1198 م) و خلعوا طاعة الموحدين و دعوا للخلافة العباسية ببغداد ، و لما تولى الحكم الخليفة محمد الناصر بن يعقوب المنصور (595-610 هـ / 1198- 1213 م) ازداد خطرهم مما مكنهم من الاستيلاء عل كثير من مناطق المغرب الأقصى ، و قد أدى ذلك إلى استنزاف قدر كبير من الإمكانيات المادية و البشرية للدولة الموحدية في سبيل مواجهتهم[1].

تعرضت المدن المغربية الساحلية لهجمات عسكرية من جانب الممالك النصرانية[2] الإسبانية و الجنوية[3] ، فقد شدد الجنويون الحصار على سبتة[4] و نصبوا عليها المجانيق حتى اضطر أهلها إلى مهادنتهم سنة 633 هـ/1235 م على أربعمائة ألف دينار[5] .

في سنة 649 هـ/1251 م عبر فرناندو الثالث[6] (1230-1252 م) ملك قشتالة البحر لغزو بلاد المغرب حيث أحرزوا انتصارا بحريا على المغاربة ، لكنهم عاودوا الهجوم سنة

---

(1) ابن خلدون ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 6 ، المطبعة المصرية ، بولاق 1284 هـ ، ص ص 20-21 .

(2) محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الموحدين ، ج4 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2002 ، ص 250 .

(3) جنوة قديمة و أزلية البناء ، على مقربة من نهر صغير ، أهلها تجار و بحارون . الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج 2 ، ط 1 ، عالم الكتب ، بيروت 1989 ، ص 749 .

(4) سبتة بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، و مرساها أجود مرسى على البحر ، و هي تقابل الجزيرة الخضراء ، و البحر يحيط بها شرقا و جوفا و قبلة ، و ليس لها إلى البر غير طريق واحدة من ناحية الغرب لو شاء أهلها أن يقطعوه قطعوه . الحموي ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 182 . الحميري ، الروض المعطار ، ص 303 . مؤلف مجهول ، الإستبصار ، ص 137 .

(5) الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 244 .

(6) فرناندو الثالث ، تولى حكم مملكة قشتالة وفاة والده ألفونسو التاسع سنة 1230 م ، و استطاع الإستيلاء على الكثير من قواعد الأندلس مثل قرطبة و جيان و إشبيلية ، توفي سنة 1252 م و دفن بإشبيلية . عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص 45 .

658 هـ /1259 م على سبتة فدخلوها و خربوها[1] ، و في نهاية عهد دولة الموحدين بالمغرب و تحديدا سنة 668 هـ/1269 م هوجم حصن العرائش[2] .

ثم قاموا بالهجوم على حصن تشمس[3] فقتلوا الرجال و سبوا النساء و صادروا الأموال[4]

– **ثانيا** : الصراع على السلطة و استبداد الوزراء و سوء تصرف الشيوخ : و يعد ذلك من أبرز ملامح المرحلة التي أعقبت هزيمة معركة العقاب[5] سنة 610 هـ/1212 م ، خاصة منذ وفاة الخليفة محمد الناصر بن المنصور الموحدي سنة 610 هـ /1213 م[6] الذي كان يسيطر عليه وزيره أبو سعيد بن جامع[7] .

خلف الناصر ولي عهده و خليفته يوسف المنتصر (610-620 هـ/1213-1223 م) و كان عمره حينذاك ستة عشر سنة[8] ، فاستبد ابن جامع بالدولة بينما انشغل الخليفة باللهو

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 178 .

(2) حصن العرائش ، يقع على شاطئ الأطلسي ، عند مصب نهر اللوكس جنوبي طنجة . الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 302 .

(3) تشمس ، مدينة قديمة بالمغرب ، عليها سور قديم ، بينها و بين البحر المحيط نحو ميل جنوبي طنجة . الحموي ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 32 . الحميري ، المصدر نفسه ، ص 141 .

(4) محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج4 ، ص 96 .

(5) العقاب موضع بالأندلس بين جيان و قلعة رباح ، و عند ابن خلدون حصن العقبان، و تسمى معركة العقاب في المصادر الأجنبية لاس نافا سدي تولوزا (Las Navas de Tolosa) . الحميري ، المصدر السابق ، ص 416 . ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 249 . عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 739 .

(6) ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 169 .

(7) أبو سعيد بن جامع : لم يكن شريف النسب في الموحدين ، و لما ولي حجابة محمد الناصر و وزارته أخذ يقهر أعيان الموحدين و يهين أهل الشرف ، فيهم حتى فر من بلاط الناصر أكثر الأشياخ الذين قام الأمر بهم ، فانفرد بالخدمة هو و رجل يعرف بابن منشأ . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ص 236- 237 . ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 250 .

(8) عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 323 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 49 .

و الانغماس في الملذات[1] و نظرا لضعفه فقد كانت أوامره لا تطاع ، وكل من ولي بلدا عمل فيه برأيه دون الرجوع للخليفة[2] ، و يقول ابن خلدون عن ذلك : " فضاعت الثغور و ضعفت الحامية و تهاونوا بأمرهم و فشلت ريحهم"[3] .

عندما هلك المنتصر[4] اختار ابن جامع أبا محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمخلوع(620-621 هـ/1223-1224 م)[5] فتمرد أبو محمد عبد الله يعقوب بن المنصور (توفي سنة 624 هـ) في مرسية على السلطة الجديدة و تسمى بالعادل و ذلك سنة 621 هـ /1224م ، و قد ساعده في ذلك كره الناس للوزير ابن جامع[6] ، مما أفضى إلى حدوث انشقاق في الصف الموحدي ، ففي الوقت الذي بويع العادل من إخوته أبو العلاء صاحب قرطبة و أبي الحسن صاحب غرناطة و أبي موسى صاحب مالقة و أبي محمد بن عبد الله المعروف بالبياسي صاحب جيان .

فقد تمسك كل من عبد العزيز شقيق المخلوع و أبي زيد بن عبد الله شقيق البياسي الذي كان حاكما على كل من إقليم بلنسية[7] و شاطبة[1] و دانية[2] بطاعة المخلوع[3] .

---

(1) المقري ، المصدر السابق ، ص 117 . الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، 226 .

(2) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 224 .

(3) ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ض 169 .

(4) توفي الخليفة المنتصر إثر تعرضه لطعنة في صدره من بقرة هائجة في إحدى مزارعه بمراكش ، حيث كان مولعا بتربية الحيوانات . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 243 . الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 228 .

(5) ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 251 .

(6) عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 333 . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 224 . القلقشندي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 192 .

(7) بلنسية تقع في شرق الأندلس بينها و بين قرطبة ستة عشر يوما ، و هي قاعدة من قواعد الأندلس ، على ضفة بحر الروم ، و تعرف بمدينة التراب ، و تتبع لها عدة مناطق . عبد المنعم الحميري ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تعليق إ.ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت 1988 ، ص 47 . الحموي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 386 .

عندما رأى أبو محمد البياسي أخاه أبا زيد قد تمرد على العادل و تمسك بطاعة المخلوع، توقف عن بيعة العادل و ثار ببياسة قرطبة و جيان و قيجاطة[4] و حصون الثغر الأوسط[5] و تلقب بالظافر[6] ، حاول العادل قمع هذا التمرد فتحالف البياسي سنة 622 هـ / 1225 م مع ألفونسو التاسع ملك ليون (ت 1230 م) على أن يتنازل له عن بياسة و قيجاطة[7] ، فكان أول من سن إعطاء الحصون و البلاد للروم في دولة الموحدين[8] .

لم يدم حكم للمخلوع سوى شهرين و قتل بأمر من الخليفة العادل في رمضان سنة 621 هـ / 1224 م ، فكانت هذه سابقة خطيرة إذ كان العادل أول من قام بعمليتي الخلع و القتل معا في تاريخ الدولة الموحدية[9] ، و قد لاقى الخليفة العادل المصير نفسه سنة 624 هـ/ 1226 م على يد أبي العلاء إدريس بن يعقوب الملقب بالمأمون (626-629 هـ

(1) شاطبة ، تبعد إثني عشر ميلا عن جزيرة شبر ، و هي مدينة حسنة و حصينة ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 556 . الحميري ، الروض المعطار ، ص 337 .

(2) دانية ، على البحر عامرة حسنة ، لها ربض عامر و سور حصين ، من أعمال بلنسية على ساحل البحر شرقا ، مرساها عجيب يسمى السمان . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص 76 . الحموي ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 434 .

(3) الناصري ، المصدر السابق ، ص 230 .

(4) قيجاطة مدينة بالأندلس من عمل جيان ، ينسب إليها محمد ابن الوليد القيشاطي الأديب و كان معلم العربية . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص 196 . الحموي ، المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 422 .

(5) حصون الثغر الأوسط هي حصون طليطلة و أعمالها . عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص 17 .

(6) الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 206 .

(7) ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، 168 .

(8) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 246 .

(9) ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، 352 .

/ 1229-1231م)[1] ، و ما كاد أهل الأندلس يبايعونه بإشبيلية حتى ندم الموحدون على ذلك في مراكش فبايعوا يحي بن الناصر بن المنصور و كان سنه حينئذ ستة عشر سنة[2] .

فطلب المأمون مساعدة ملك قشتالة فرناندو الثالث على أن يكون للأخير عشرة حصون و أن تبنى للنصارى كنيسة في مراكش ، و إن أسلم أحد من الروم فلا يقبل منه ، و إن تنصر أحد من المسلمين فليس لأحد عليه من سبيل ، و دخل المأمون مراكش بمساعدة النصارى سنة 626 هـ /1229 م و تم لهم ما اشترطوا عليه[3] و فر يحي بن الناصر خارج مراكش إل جبل تينمل[4]، و انتقاما من الموحدين ارتكب المأمون بحق أشرافهم و أشياخهم مجزرة شنيعة أتت حتى على صغارهم[5] فقتل منهم أربعة آلاف و ستمائة نفر[6] .

لما هلك المأمون أواخر سنة 629 هـ /1232 م بويع ابنه عبد الواحد الذي تلقب بالرشيد و كان سنه أربعة عشر سنة ، و أخذ رجال الدولة البيعة له مثل : كانون بن جرمون السفياني و شعيب بن أوقاريط الهسكوري و فرنسيل قائد كتيبة النصارى في الجيش الموحدي ، لم تستقر الأوضاع في دولته إلى أن مات غرقا في صهريج سنة 640 هـ/1242 م[7] ، فخلفه أخوه علي بن المأمون بن المنصور الملقب بالسعيد (640-646 هـ/1242-1248 م) بتعيين من أبي محمد بن واندوين ، و قد أساء السعيد إل شيوخ الموحدين بأن

---

(1) عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 334 . ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 352 . الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 208 .

(2) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 148 .

(3) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 251 .

(4) تينمل أو تامللت هو حصن منيع على جبل درن جنوب المغرب الأقصى ، و لا يمكن الوصول إليه إلا بصعوبة ، به ظهر المهدي بن تومرت الموحدي ، فزاد في تحصينه و دفن فيه . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 230 . الحميري ، الروض المعطار ، ص 128 . مؤلف مجهول ، الإستبصار ، ص 208 .

(5) الناصري ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 210 .

(6) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 252 .

(7) ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 256 . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ص 254-255 .

صادر أموالهم لصالحه[1] ، فانشغل خلال حكمه في محاربة بني مرين و بني زيان[2] إل أن قتل سنة 646 هـ على يد بني زيان[3] ، فجاء بعده عمر المرتضى و استمر حكمه حتى سنة 665 هـ/ 1266 م حين نازعه في الأمر أبو العلاء إدريس بن محمد الملقب بأبي دبوس الذي تسمى الواثق بالله ، فكان آخر ملوك الموحدين إلى أن قتل على يد بني مرين سنة 668 هـ/ 1269 م فانقرضت بموته الدولة الموحدية[4] .

– **ثالثا** : تعرضت الدولة الموحدية لموجات متلاحقة من الكوارث الطبيعية و البيئية ، كوباء الطاعون الذي عم بلاد المغرب و الأندلس سنة 610 هـ/1213 م ، كما اجتاح الجراد بلاد المغرب عامي 617 و 624 هـ/ 1220 و 1226 م فخلف قحطا شديدا ، و في سنة 626 هـ/1229 م كان السيل العظيم بفاس و الذي أدى إلى هدم سورها القبلي و منشآت أخرى ، و عاد الوباء سنة 635 هـ/ 1238 م فدفن كل مئة شخص في حفرة واحدة ، و في سنة 646 هـ/ 1248 م شبت الحرائق في فاس و رافق ذلك كله غلاء شديد في الأسعار و أوضاع إقتصادية بالغة الصعوبة[5] ، حيث توقفت الحركة الزراعية و اضمحلت المنشآت الصناعية و العمرانية و كثر الخراب في معظم المدن المغربية[6] .

–**رابعا** : في عهد المأمون بن المنصور ثار بجبال غمارة سنة 625 هـ/1227 م محمد بن أبي الطواجين المتنبي ، ثم ارتحل إلى سبتة و ادعى النبوة[7] ، و في سنة 629 هـ/1231 م – في الوقت الذي خرج على المأمون أخوه أبو موسى عمران بن المنصور بمدينة

---

(1) الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 216 .

(2) بنو عبد الواد فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة البربرية التي كانت قبائلها تعيش حياة البداوة والترحال ، تجوب صحراء المغرب الأوسط بحثا عن المراعي الخصبة لمواشيها ، تمتد مواطنهم من تاهرت إلى نهر ملوية ، وهم ينتمون إلى فرع بني واسين إحدى أهم بطون زناتة . يحي بن خلدون ، المصدر السابق ،ج1 ، ص 334 . Atallah Dhina , op.cit, p 43.

(3) ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، 258 .

(4) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ص 258-261 . عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص 32 .

(5) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 263 .

(6) عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص 94 .

(7) الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 218 .

سبتة و تسمى بالمؤيد – قامت قبائل مكلاثة بمحاصرة مكناسة[1] ، و قام عمران بتسليم سبتة لابن هود الغرناطي مقابل توليته إمارة ألميرية[2] .

و ثارت قبائل الخلط بقيادة مسعود بن حميدان في زمن الخليفة الرشيد سنة 632 هـ/ 1234 م و قاموا بالإستيلاء على مراكش مما استدعى جهودا كبيرة من أجل إخماد الثورة ، و في سنة 651 هـ/1253 م فر من حاشية الخليفة المرتضى علي بن بدر من بني باداسن ، و لحق ببلاد السوس و تحصن ببعض جبالها و استولى على تارودانت[3] و على بعض مناطق بلاد السوس بمشاركة قبائل الشبانات و ذوي حسن من عرب المعقل[4] .

أما على صعيد النزاعات الإستقلالية ففي بداية عهد الخليفة الموحدي المنتصر يوسف بن الناصر أخرت بيعة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص[5] (ت 618 هـ/1221 م) والي الموحدين على إفريقية احتجاجا على صغر سن الخليفة ، و من ثم عاد الحفصيون و بايعوه بعد تدخل الوزير ابن جامع ، فكانت هذه أولى بوادر التمرد الحفصي في المغرب الأدنى على السلطة المركزية ، إلى أن جاءت سنة 627 هـ/1230 م حين استبد الأمير أبو زكريا بن الشيخ أبي محمد بن أبي حفص الهنتاتي (ت 647 هـ/ 1250 م) بإفريقية و خلع طاعة الموحدين[6] ، أما بنوا عبد الواد بزعامة يغمراسن بن زيان[7] فقد استقلوا بالمغرب الأوسط

---

(1) مكناسة مدينة بالمغرب في بلاد البربر بينها و بين مراكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق ، و هي مدينتان صغيرتان على ثنية بيضاء بينهما حصن جواد ، و بينها و بين فاس أربعون ميلا في جهة المغرب . الحموي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 181 . الحميري ، الروض المعطار ، ص 544 .

(2) ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 254 .

(3) تارودانت قاعدة بلاد السوس في جنوب المغرب الأقصى و أهم مدنها . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 227 .

(4) الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 228-229 .

(5) عبد الواحد بن عمر بن أبي حفص الهنتاتي مؤسس الدولة الحفصية في إفريقية ، ولي تونس من طرف الموحدين سنة 603 هـ / 1206 م إلى أن توفي سنة 618 هـ/1221 م . الزركلي ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 176 .

(6) الناصري ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 203 .

(7) ولد يغمراسن سنة 603 هـ/ 1206 م ، ولي وبويع يوم توفي أخوه أبو عزة سنة 633 هـ /1236 م ، وكان معروفا عند قومه بدهائه السياسي وشجاعته وحزمه و حصافة رأيه ، ومكارم أخلاقه وإيثار ذوي الفضل والعلم . ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص 162.

و جعلوا من تلمسان عاصمة لهم (633 هـ/1235 م) [1] ، و في سنة 635 هـ استقل محمد بن يوسف الأحمر (ت 671 هـ/1272 م) بمملكة غرناطة ، فانسلخ بذلك آخر ما تبقى من الأراضي الإسلامية في الأندلس عن الدولة الموحدية[2] .

في سنة 668 هـ /1269 م فتحت مراكش على يد بني مرين و قامت دولتهم في المغرب الأقصى[3] ، و بذلك فقدت الدولة الموحدية سيادتها على أراضيها و أملاكها في المغرب و الأندلس ، و أفل نجمها بعد أن امتدت سلطتها ما بين الصحراء الكبرى جنوبا و البحر المتوسط شمالا ، و ما بين الصحراء الليبية شرقا و البحر المحيط غربا ، إضافة إلى الأندلس التي امتدت أملاك الموحدين فيها إلى ما وراء الوادي الكبير[4] .

- خامسا : الهزائم المتوالية التي منيت بها الدولة الموحدية على الممالك النصرانية في الأندلس ، و أهمها هزيمة الموحدين في معركة العقاب سنة 609 هـ/1212 م في أيام الخليفة الموحدي محمد الناصر بن يعقوب المنصور أمام ملك قشتالة ألفونسو الثامن[5] ، على الأراضي الأندلسية و الذي لم ينسى هزيمة الموحدين له في معركة الأرك[6] سنة 591 هـ/1195 م[7] ذلك أنه عندما بلغ الخليفة الموحدي ما تعانيه الأندلس و أهلها خاصة حصون بلنسية من اعتداءات من النصارى و على رأسهم الملك القشتالي سنة 605 و 606 هـ ، عزم على نجدها مستعينا بالشيخ أبي محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب إفريقية ، إلا أن الأخير رفض ذلك[8] .

خلال حكم الخليفة الموحدي يوسف المنتصر بن الناصر استولى النصارى على كثير من معاقل المسلمين و مدنهم في الأندلس ، ففي سنة 614 هـ/1217 م تلقى المسلمون هزيمة

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 79 .

(2) الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 234 .

(3) الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 135 .

(4) عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 284 .

(5) عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص ص 87-88 .

(6) الناصري ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 165 .

(7) عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص 87 .

(8) ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 249 . الناصري ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 220 .

أخرى بقصر أبي دانس غربي الأندلس على يد القشتاليين في حين لم تنفع النجدات الإسلامية التي قدمت من إشبيلية و قرطبة و جيان لفك الحصار عنه ، فقام ألفونسو الثامن باقتحام القصر عنوة و قتل جميع من كان به من المسلمين[1] و كان ذلك بمشاركة ملك البرتغال[2] ألفونسو الثاني[3] .

و استولى النصارى أيضا على حصن القنطرة[4] فكانت هذه الهزيمة من الهزائم الكبرى التي تضاهي هزيمة العقاب[5] .

بعد ذلك اجتاحت الأندلس موجة عاتية من الغزو النصراني القشتالي و الأراجوني فسقطت القواعد الأندلسية الموحدية بيد النصارى تباعا كماردة[6] سنة 626 هـ و جزيرة ميورقة و بطليوس [7] سنة 627 هـ و قرطبة و أستجة[8] و المدور[9] سنة 633 هـ و بلنسية سنة 636 هـ و مرسية و شلب[10] سنة 640 هـ ، و في الأخير سقطت دانية و لقنت[11] سنة 641 هـ .

---

(1) الناصري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 227 .

(2) الناصري ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 230 .

(3) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 243 .

(4) حصن القنطرة أحد الحصون الأندلسية جنوب غرب الأندلس ، و هي من أعمال شنترين . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 553 .

(5) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 243 .

(6) ماردة إحدى المدن الواقعة ضمن أحواز قرطبة إلى الغرب منها ، و تبعد عن بطليوس عشرين ميلا . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص 175 .

(7) بطليوس بالأندلس من إقليم ماردة ، بينها أربعون ميلا ، على نهر آنة غربية قرطبة . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص 46 . الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ج 1 ، ص 647 .

(8) أستجة تقع جنوب غرب قرطبة ، و بينها مرحلة كاملة ، و معنى هذا الاسم عندهم جمعت الفوائد . الحميري ، الروض المعطار ، ص 53 .

(9) المدور حصن منيع بالقرب من قرطبة . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 561 .

(10) شلب ، إحدى مدن غرب الأندلس ، تقع غربي قرطبة و بينها و بين شنترين خمسة أيام . الحموي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 151 .

(11) لقنت ، مدينة صغيرة عامرة كثيرة الأشجار ، و بها دار لصناعة السفن . الإدريسي ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 558 .

هكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية و الوسطى كلها قد سقطت بيد النصارى ، و لم يبقى من أملاك الدولة الإسلامية في الأندلس سوى بضع ولايات صغيرة في طرف إسبانيا الجنوبي و التي تسمى مملكة غرناطة[1] .

(1) عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج 4 ، ص 91 .

الفصل الأول

الفصل الأول: الأوضاع السياسية في الدولتين

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الدولة المرينية

1- نسبهم و موطنهم

2- بداية ظهورهم

3- قيام الدولة المرينية

4- توسعات بني مرين

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في الدولة النصرية

1- نسب بني نصر

2- محمد بن الأحمر الأول و تأسيس الدولة .

3- سلاطين بني نصر و الصراع مع النصارى

4- سقوط غرناطة و معاهدة الاستسلام

المبحث الأول: أوضاع الدولة المرينية

1. نسبهم وموطنهم:

المرينيون فخذ قوي من قبيلة زناتة البترية ، فجد المرينيين الأعلى هو : " مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن يدر بن يجفت بن يصليتن عبد الله بن ورتيب بن المعز بن إبراهيم بن شجيج بن واسين بن يصليتن بن مسرى بن زاكيا بن وسيد بن زانات بن جانا بن يحيا بن تمزيت بن ضريس ، و هو جالوت ملك البربر ، بن رجيج بن مادغس الأبتر بن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . فهم عرب الأصل[1] .

و يؤكد انتماء المرينيين إلى العرب عن طريق جدهم الأعلى زنات ما قاله ابن رشيق : " أصل زناتة من الشام و كانت دارهم بفلسطين و ملكهم جالوت ، فلما قتله داوود عليه السلام ، جاء البربر إلى المغرب فانتشروا إلى السوس الأقصى "[2] . و يقول ابن أبي زرع في هذا أيضا : " فمن زنات بن جانا تفرقت قبائل زناتة فهم عرب صريحون "[3] .

حاول بعض المؤرخين أن يضفي إلى النسب المريني هالة من التكريم فرفع نسبهم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقالوا عن عبد الحق المريني : " عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن علي بن تاشفين بن يحيي بن علي بن إبراهيم بن إسماعيل بن عمر بن أمير المؤمنين الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه "[4] .

كان بنو مرين يمثلون قسما قويا له عراقته و سطوته بين قبائل زناتة، فهم أعلى حسبا و أشرفها نسبا و أغزرها كرما و أحسنها شيما و أرعاها ذمما و أرجحها كلاما و أشدها في الحروب بأسا و إقداما[5] .

---

(1) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 14 .

(2) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمامة ، ط1 ، دار الرشاد، الدار البيضاء 1979 ، ص 185 . محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني، ط 2 ، دار القلم ، الكويت 1987 ، ص 3 .

(3) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 279 .

(4) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 15 . مصطفى أبو ضيف أحمد عمر ، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 ، ص 169 .

(5) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 278 .

تعددت مواطن بني مرين قبل دخولهم بلاد المغرب الأقصى ، نتيجة لأسلوب البداوة الذي غلب على حياتهم ، فقد نزلوا في جنوب القيروان إلى صحراء بلاد السودان[1]، و قد وصفهم أبن أبي دينار في المؤنس : " و بنو مرين كانوا يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية و يتنقلون من مكان إلى مكان و جل أموالهم الإبل و الخيل و طعامهم اللحوم و التمر "[2] .

يرى ابن خلدون أن إقامة بني مرين كانت بمجالات القفر من فكيك إلى سجلماسة في الجنوب ، و من فكيك إلى ملوية في الشمال ، و ربما يتنقلوا في ظعنهم شرقا نحو بلاد الزاب[3] أما القلقشندي فيحدد منازل المرينيين مابين فكيك و صا و ملوية فقط[4] . أما ابن مرزوق الخطيب فيرى أن القبائل المرينية تملكت مساحات شاسعة من بلاد الجريد إلى المغرب ، حيث شمل ملكهم من بلاد الزاب إلى تاهرت و جهات من تلمسان[5] .

2. بداية ظهورهم :

كانت قبيلة بني مرين تضم أسرتين كبيرتين : بنو عسكر وبنو حمامة ، وكانت رئاستهم في بني عسكر، وكان زعيمها الأعدر بن العافية بن عسكر من أقوى رجالها وأشدهم بأسا ، وكان يلقب بالمخضب ، له جيوش قادت القبيلة إلى انتصارات عديدة ، إذ كانت له سلطة قوية على القبيلة مثل الملوك وتقام له المراسيم ، وقد مكنته انتصاراته على المرابطين والحماديين معا إلى بسط نفوذه في بوادي زناتة بالمغرب وبلاد المرابطين إلى ما يلي تلمسان ، وكذا الحماديون في بجاية و القلعة قد اضطروا إلى مهادنته ومصالحته[6].

فكانوا معه على ذلك إلى أن ظهر الموحدون وتمكنوا من فتح تلمسان ووهران على يد عبد المؤمن بن علي ، الذي بعث ما غنمه فيها من أموال وذخائر وسلاح إلى تنملل وكان

---

(1) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 23 . Atallah Dhina , op.cit. , p 40

(2) ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ، ط1 ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس 1286 هـ . ص 146 .

(3) ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 167 . محمد بن احمد بن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء 1985 ، ص 18 .

(4) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 194 .

(5) ابن مرزوق الخطيب ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس ، تقديم محمود بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981 ، ص 18 .

(6) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 20 . ابن الأحمر ، ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، مطبوعات القصر الملكي ، المطبعة الملكية ، الرباط 1962 ، ص 21- 22.

المخضب حينها قد تملك بنواحي تلمسان وقوي أمره بتلك البلاد ، إلا أنه لم يشهد حصار عبد المؤمن للمرابطين إذ كان ببلاد الزاب يخضع بعض قبائل زناتة ، وقد كان أهل المدينة ينتظرون قدومه لنصرتهم ، خصوصا بعد سقوط تلمسان في يد الموحدين وفرار الأمير المرابطي تاشفين بن علي منها إلى وهران ، فلحقت به جيوش عبد المؤمن تطلبه ، فتمكنت منه واستخلصت أمواله وذخائره ، فبعث بها عبد المؤمن إلى تينمل مركـــز دعوتهم ، فبلغ نبأ ذلك بني مرين ، فنهض لهم المخضب بن عسكر لاستخلاصها والاستيلاء عليها في خمسمائة فارس فاعترضهم في وادي تلاغ واستولى على أموالهم، فأرسل عبد المؤمن جيشا يتزعمه عبد الحق بن معاذ الزناتي العبد الوادي لاستعادتها، فالتقى الجيشان بفحص مسون ، فكان بينهما قتال عظيم انهزم على إثره بنو مرين وقتل المخضب ، وكان ذلك سنة 540هـ/ 1146م[1].

بعد هذه الحادثة عاد بنو مرين إلى مواطنهم[2]، حيث انتقلت رئاستهم من بني عسكر إلى فرع من بني حمامة بن محمد بن عم المخضب ، فتولى أمرهم أبو بكر بن حمامة و بعد وفاته سنة 561هـ/ 1165م ، تولى الرئاسة ابنه محيو الذي شهدت فترة حكمه أحداث سياسية وعسكرية هامة ، إذ شارك الخليفة الموحدي المنصور في الجهاد بالأندلس حيث كلفه بقيادة المتطوعين من قومه وقبائل زناتة في معركة الأرك التي انتصر فيها المسلمون سنة 591هـ/ 1195م ، غير أن زعيم بني مرين كان قد أصيب بجروح عميقة اشتدت عليه بعد عودته من المعركة إلى بلاده، توفي على إثرها في نفس السنة بالزاب[3] .

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 150. ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 21. مارمول كربخال ، إفـــريقيا ، ترجمة محمد حجي و آخرون ، ج1 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط 1984 . ص 373 .

(2) بعدما حاصر عبد المؤمن تلمسان المرابطية أرسل أبا حفص الهنتاتي لإخضاع المغرب الأوسط وحرب قبائل زناتة ، وكان أبو حفص يتزعم قبائل منها قبيلة بني عبد الواد فاستقرت بجهوده أوضاع المغرب الأوسط ، وكان بنو مرين من القبائل الزناتية التي أبت الخضوع لنفوذ الموحدين على عكس أبناء عمومتهم بني عبد الواد ، وبذلك لم ينالوا الحظوة التي نالها غيرهم ، فأخذتهم عزة النفس إلى مغادرة البلاد إلى القفر . ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 344 . تاريخ المغرب وحضارته ، مج2 ، ج2 ، ط1 ، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت 1992 ص 13.

(3) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 20- 21 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 4 . ابن الأحمر ، روضة النسرين ، ص 23 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، مج 2 ، ص 14.

3- قيام الدولة المرينية:

بعد وفاة محيو تولى زعامة بني مرين أكبر أبنائه أبو محمد عبد الحق ، فبدأ به عصر جديد في تاريخ بني مرين[1]، إذ دخل في مناوشات مع الموحدين في سبيل تكوين دولة له مستغلا في ذلك ضعف الخلفاء الموحدين، وافتراقهم وتهاونهم في الدفاع عن الثغور فأخذ يغير بفلول بني مرين على نواحي المغرب وبواديه ، ويعيث في البلاد فسادا، مما دفع بالأهالي إلى رفع شكاويهم إلى المستنصر ابن الناصر الموحدي ، فعزم على محاربتهم وأعد لذلك جيشا ضخما[2] يقودهم أبو علي بن واندوين وأبو إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن والي مدينة فاس ، فالتقت الجموع بوادي نكّور في سنة613هـ/ 1276م ، لتلتحم في معركة طاحنة انهزم فيها الموحدون وتمزق جيشهم بينما امتلأت أيدي بني مرين بالأسلاب والغنائم بعدما جرّدوا أعداءهم من ملابسهم فلم يجدوا ما يسترون به عوراتهم إلا نبات يعرف عندهم بأوراق المشعلة ، فسميت هذه المعركة بمعركة المشعلة و العام هذا بعام المشعلة[3].

بعد هذا الانتصار زحف عبد الحق بن محيو بجيوشه إلى رباط تازا[4] فاستولى عليه في انتصار آخر على الموحدين الأمر الذي زاد من حدة الصراع السياسي و العسكري بينهما ، تضاف إليه المؤامرات والدسائس التي كانوا يدبرونها لبعضهما البعض .

فقد نشب صراع داخلي في الأسرة المرينية بين بني حمامة وأصحاب مشيخة بني مرين ومنافسيهم بني عمومتهم بني عسكر، صراع قام الموحدون بتغذيته وتقويته ، وزاد من تعميق الخلاف لجوء بني عسكر إلى الاستعانة بعرب رياح حلفاء الموحدين ، وذلك بإيعاز من هؤلاء ، فاحتدم الصراع بينهما ليتحول إلى مواجهة عسكرية عنيفة التقى فيها الفريقان

---

(1) دخل بنو مرين في عهده بلاد المغرب الأقصى ، وأقاموا ببلاد الريف سنة 610هـ ، وذلك عندما لمسوا ضعف خليفة الموحدين يوسف المستنصر، و اختلال حال الدولة ، خصوصا بعد هزيمة العقاب سنة 609 هـ/ 1212م . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص ص 158- 160. ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 24 .

(2) ضم هذا الجيش عشرة آلاف مقاتل ، تضخم عدده في طريقه إلى عشرين ألفا ، بعدما انضمت إليه قبائل الموحدين . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 26-27 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 6.

(3) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 27- 28 . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 188 . ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 348 . مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 375 .

(4) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 32- 33 . عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 868.

بواجرهان بالقرب من وادي سبو[1] على بعد أميال من تافرطاست سنة 614هـ/ 1217م ، انتهت بمقتل أميرهم عبد الحق وابنه الأكبر إدريس[2]، فخلفه ابنه أبو سعيد عثمان الذي أقسم وعشيرته على الثأر لقتلاهم والانتقام من أعدائهم، فزحفوا على معسكر بني عمومتهم وحلفائهم عرب رياح ، فنالوا منهم قتلا وسلبا ونهبا لأموالهم ومتاعهم ، وأرغموهم على الإذعان لسلطانهم مع دفع إتاوات سنوية[3].

استغل أبو سعيد عثمان ضعف الموحدين وأخذ يدعو قبائل المغرب إلى الدخول في طاعته، فبايعه من قبائلهم هوارة وزكارة وتسول ومكناسة ، وبطوية ومطلاسة وكزناية وبنو يرتيان و بنو يازغة وغياثة ومجاصة وصاريوت وبنو مكود وبنو سيتان وبنو واسليت وبنو بحر وبنو يوسف ، كما فتح بلاد بني كانون، وجبال زرهون وبلاد أوربة وصنهاجة وسدراتة ولمطة ، وبلاد غمارة ، ففرض عليهم الخراج ووزع عليهم العمال، وألزم أهل فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة بضريبة معينة يدفعونها إليه كل سنة تأمينا لطرقاتهم واتقاءا لغاراته[4].

فاستطاع بذلك أبو سعيد عثمان وضع كيان سياسي لبني مرين لإقامة دولة تجمعهم ، أصبح لا ينقصها إلى الإعلان عنها رسميا ، فاعتبر بذلك أبو سعيد عثمان المؤسس الحقيقي لملك بني مرين الذي أرعب البلاد الموحدي ، فدفعه إلى تغيير سياسته وأسلوبه من المواجهة العسكرية إلى سياسة الاسترضاء والتقرب من بني مرين عن طريق مهادنتهم وذلك سنة 637هـ/ 1232م[5].

---

(1) نهر ينبع من جبل يسمى سليلكو بالحوز في إقليم مملكة فاس ، ويجري في سهل مارا على بعد ستة أميال من فاس . الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 248 . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 99 . مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 283 .

(2) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 349 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 33.

(3) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 191 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 35 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 15. عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 868- 869.

(4) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 36- 37 . عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 350.

(5) محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج4 ، ص 512 . محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 19 .

في نفس السنة اغتيل أبو سعيد عثمان ، فخلفه أخوه أبو معرّف محمد بن عبد الحق[1] (637- 642هـ/ 1232- 1244م) ، فسار على سياسة سلفه في التمكين لقومه ومواصلة الجهود السياسية والعسكرية لإقامة كيان لهم ، يفرض هيبتهم ووجودهم ، وذلك بتمهيد مناطق المغرب الشمالية والاستيلاء عليها ، وإخضاع قبائلها وفرض الضرائب عليهم[2]. فكانت هذه السياسة كفيلة بتحقيق المزيد من المكاسب لبني مرين خصوصا بعدما سعى إلى إضعاف الموحدين بالتحالف مع خصومهم من المنشقين عنهم، فاستقبل أبو معرف جرمون بن رياح وقومه المنشقين عن الخليفة الموحدي الرشيد ، فأكرم وفادهم وأنزلهم أحسن مترل[3]، وبذلك جعل بنو مرين من أرضهم ملجأ لكل منشق عن الموحدين والراغبين في الانضمام إليهم كأسلوب ضغط وإضعاف للموحدين[4].

في هذه المرحلة شرع بنو مرين في التأسيس العملي لقيام دولتهم ، فبعدما استولوا على البوادي في شمال المغرب تحولوا إلى المدن والأمصار ، فحاصروا مكناسة ثم سلفات الأمر الذي أقلق الرشيد الموحدي مما دفعه إلى مواجهتهم وإيقاف مدهم، وكان الخلاف والشقاق قد دب من جديد في البيت المريني بين بني عسكر وبني حمامة وذلك منذ اعتلاء أبي معرف الحكم ، حاول ابن واندوين الذي عقد له الخليفة الموحدي على مكناسة استغلاله فتحالف مع بني عسكر ونهض معهم لقتال أبي معرف وقومه فالتقى الجمعان بالقرب من سلفات ، فانهزم ابن واندوين وأتباعه[5].

لما تولى السعيد بن المأمون خلافة الموحدين سنة 640هـ ، صرف جهوده لمحاربة بني مرين فأعد لذلك جيشا ضخما يتألف من المصامدة والعرب والروم ، والتقى مع الجيش المريني في أحواز فاس سنة 642 هـ ، وانجلت هذه المعركة عن مقتل الأمير أبو معرف محمد

(1) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 59.

(2) عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 869.

(3) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 60.

(4) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 16.

(5) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 60 . محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، ص 16.

وانهزام المرينيين وانسحابهم إلى جبل بمنطقة تازا ثم خرجوا إلى الصحراء حتى لا يطولهم الموحدون[1]، و ظهر كأن أمر بني مرين قد انتهى .

لكن الأمور سرعان ما تغيرت الأمور عندما تولى أبو بكر بن عبد الحق رئاسة بني مرين (642- 656هـ/ 1244- 1258م) ، و لم يكد يستقر في السلطة حتى راح يسعى جاهدا لتحقيق مشروع أبيه في إقامة دولة فعلية ، فأظهر مواهبه في الحكم والإدارة وانكشفت حنكته السياسية بعدما أعاد تنظيم قبائل بني مرين[2] وأصلح الخلافات التي كانت بينها ، كما خلع أبو بكر طاعة الموحدين وجهر بها ، وأعلن اعترافه بسلطة الحفصيين في إفريقية وبيعته لهم ، وظل محافظا على ذلك طيلة حياته هو ومن جاء بعده[3] ولعل في هذه الخطوة استغلال للشرخ الذي وقع بين الموحدين والحفصيين وخلافهم حول مبادئ ابن تومرت وتنكر الموحدين لها، الأمر الذي لم يقبله الحفصيون فكان على بني مرين الاستفادة من هذا الوضع لصالحهم في مواجهة أعدائهم ، فضلا عن اكتساب حليف قوي في مقابل التقارب الزياني الحفصي و التحالف الموحدي الزياني[4] القائم أساسا على حرب بني مرين .

بعد هذا التحالف أخذ أبو بكر في التحرك سياسيا وعسكريا باسم الحفصيين ، فاستولى على مكناسة صلحا فبايعه أهلها سنة 643هـ/ 1245م ، وكان ذلك بمساعدة أخيه أبي يعقوب الذي استطاع بفضل حنكته السياسية وعلاقاته الطيبة مع شيوخ المدينة استطاع إقناعهم بأهمية الانضواء تحت طاعة أبي بكر وتأييد المرينيين[5].

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 352 . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 193 . محمد عبد الله عنان ، نهاية الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين ، ط4 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1997 ، ص ص 522- 523.

(2) قام الأمير أبو يحيى بتقسيم البلاد والمناطق التابعة له إلى مقاطعات إدارية ، ولى على كل منها إحدى قبائل بني مرين وأسرهم وأشياخهم ، وأطلق يدهم في جباية الأموال وتحصيل الضرائب ، وطالبهم بتجنيد الجند وتأليف قلوب الناس حولهم استعدادا لمواجهة الموحدين . ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 353 . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ،ص 194 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 11 .

(3) ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 618 .

(4) ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 538 .

(5) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 66- 67. الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 12. عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، ص 524.

هنا أدرك السعيد الموحدي فداحة الخطر الذي تتعرض له دولته ، فاستنفر الموحدين و المصامدة جميعا فاستجابوا له ، وتمكن من حشد جيش ضخم ، وخرج من مراكش سنة 645هـ/ 1247م ليضع حدا لبني مرين بطردهم من بلاده ، والاستيلاء على تلمسان والمسير نحو إفريقية من أجل استعادتها .

في الوقت الذي كان الموحدون يستعرضون قوتهم كان المرينيون يراقبون ذلك عن كثب ، فأدركوا أنهم غير قادرين على مواجهتهم فاضطروا إلى التخلي عن ما ملكوه في نواحي المغرب وارتحلوا إلى تازا وبلاد الريف[1].

أما الخليفة السعيد فقد تقدم إلى مكناسة ومنها إلى فاس ورباط تازا ، حيث وصلته و هو في الرباط بيعة أبي بكر بن عبد الحق المريني مقترحا عليه العودة إلى مراكش ، و أن يقوم مقامه في التوجه إلى تلمسان[2] لإخضاع يغمراسن بن زيان[3]، غير أن الموحدين تفطنوا لمغزى هذا الطلب فشكروا الأمير المريني واكتفوا بمساهمته في الحملة فقط بفرقة عسكرية ، فأمدهم بخمسمائة فارس[4].

بعد دخول بني مرين تحت طاعة الموحدين علم السعيد الموحدي بما تم بين تونس و تلمسان من معاهدة فغضب لذلك وعزم على تأديب يغمراسن وصده عن وجهته هذه ، بعد دخول بني مرين تحت طاعة الموحدين سار السعيد نحو تلمسان فحاصرها وبعث إلى يغمراسن يدعوه للمثول أمامه وتقديم البيعة والدخول في طاعته ، فاعتذر يغمراسن عن القدوم و أكد طاعته و استعداده لإرسال بعض الفرسان ليحاربوا في صفوف الموحدين أثناء زحفهم على إفريقية ، ولجأ في قلة من أنصاره إلى قلعة تامزجدرت أو تامززدكت[5] متحصنا بها ، غير أن الخليفة السعيد ألحّ على وجوب مثول يغمراسن أمامه و ظل هذا الأخير مصرا على موقفه ،

---

(1) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 70. حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 16.

(2) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 210- 211 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 71.

(3) يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 205- 206.

(4) ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 355 .

(5) تامززدكت هو قصر واقع في الحد بين هذا القفر و بلاد تلمسان ، شيد قديما على صخرة ، و كان ملوك تلمسان يجعلونه في حالة تأهب لحراسة أماكن مرور جند فاس . الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 11 . مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 293 .

فعزم السعيد على ملاحقته فقصد القلعة التي امتنع بها يغمراسن[1] ، لكن يغمراسن بن زيان لم ينتظر وصوله ، بل خرج إليه وفاجأه في الطريق وهو يعاين بنفسه المكان ويتحرى سبل التمكن من يغمراسن وبينما هو كذلك إذ عاجله كمين من بني عبد الواد ، فقتل السعيد الموحدي ووزيره أبو زكريا بن عطوش و تفرق جنده ، فاستولى يغمراسن على محلته أبي الحسن السعيد وذخائره كالعقد اليتيم وغضار الزمرد ومصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي خطه بيده ، فســـاد الرعب والفزع في صفوف الموحدين ، الذين فرّوا مسرعين نحو مراكش تاركين محلتهم نهبا مستباحا ليغمراسن ، وكان ذلك سنة 646هـ/ 1248م[2].

بلغ خبر مقتل الخليفة السعيد إلى أبي بكر المريني فأسرع إلى استرجاع المناطق التي كان قد أسلمها إلى الموحدين، فاسترد مكناسة وأسرع إلى رباط تازا قبل أن يهاجمها منافسه يغمراسن، ثم استولى على أجر سيف، وجميع حصون وقلاع وادي ملوية وسلمها إلى أخيه أبي يوسف، ثم انتهى إلى الاستيلاء على مدينة فاس بعد أن طرد منها عاملها الموحدي، فأقبلت عليه الوفود من معظم مناطق المغرب تعلن البيعة والطاعة ، وكان ذلك سنة 646هـ/ 1248م[3].

بوفاة أبي يحيى أبي بكر انتهى بنو مرين من مرحلة الاستيلاء على المدن الكبرى[4] وجعلوا من فاس عاصمة لهم ، ولم يبق من تحقيق مشروع في إقامة دولتهم إلا الاستيلاء على مدينة مراكش عاصمة الموحدين .

---

(1) المراكشي ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت 1983 ، ص ص 387- 388. الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس 1966، ص ص 30-31 . الناصري ، المصدر السابق ،ج3 ، ص ص 247- 248 .

(2) حاصر أبو الحسن السعيد تلمسان ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع خرج السعيد في وقت القيلولة على حين غفلة من الناس فعرفه رجال يغمراسن فانقضوا عليه وقتلوه ، = وبادر يغمراسن إلى السعيد فنزل إليه وهو صريع على الأرض فحياه وفداه ، وأقسم له على البراءة من دمه ، ولما سكنت الفتنة ، حمله يغمراسن ودفنه بالعباد بمقبرة الشيخ أبي مدين . يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 206 . ابن خلدون ، العبر، ج7 ، ص 170 . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 293 . المراكشي ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 388.

(3) ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص ص 356- 358 .ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 72- 73 . عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، ص ص 532- 532.

(4) كان بنو مرين قد استولوا على مدينة القصبة وسلا وسجلماسة ودرعة ، بعد صراع طويل مع خصومهم الموحدين وبني عبد الواد . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 19-20 .

3. توسعات بني مرين :

خلف أبو بكر على حكم بني مرين ولده عمر ، فانقسم حينها بنو مرين على أنفسهم بين مؤيدين ومعارضين ، وانتهى الخلاف بتولية أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق[1] الذي واصل سياسة أخيه أبي يحيى في فتح الأمصار ومد النفوذ المريني إلى المناطق والنواحي ، وقد واجه في فترة حكمه العديد من الثورات الداخلية والخارجية .

أما الداخلية فمنها ثورة أبي يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق والي سلا ، الذي نازع عمه في الحكم فأراد الاستقلال عنه بالاتفاق مع تجار إسبان زودوه بالسلاح ، ثم غدروا به وفتكوا بأهله ، فاضطر أبو يوسف يعقوب إلى التدخل لحماية المدينة التي عاثوا فيها قتلا ونهبا فلاحق ابن أخيه الذي ظل متنقلا من مكان إلى آخر طريدا حتى قتله القائد المريني طلحة بن علي بساقية غبولة بالقرب من سلا سنة 668هـ/ 1269م[2].

كما واجهت أبو يوسف ثورة أخرى ، قام بها أبناء أخيه أولاد إدريس وتزعمها كبيرهم محمد بن إدريس، فأعلنوا عصيانهم بقصر كتامة مستغلين حركة ابن عمهم أبي يعقوب بن عبد الله ، غير أن أبا يعقوب تمكن من احتواء هذه الثورة دون قتال ، بفضل حنكته و سياسته الحكيمة ، و عقد لابن أخيه محمد على حملة عسكرية من بني مرين والمتطوعة لجهاد النصارى في الأندلس لأزر ابن الأحمر واستجابة لطلب العون والنصرة التي كان قد تقدم بها لأبي يوسف لاسترداد بعض ما فقده من أملاكه على يد النصارى، وتعتبر هذه أول حملة وأول جيش من بني مرين عبر إلى الأندلس[3] سنة 659هـ/ 1261م ، وبذلك أمن من جهة شر أبناء أخيه إدريس و استجاب لنوازعه النفسية في جهاد العدو بالأندلس والتقرب من بني نصر فيها من جهة أخرى .

---

(1) بويع أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بمدينة فاس في شوال من سنة 656هـ/ 1258م ، بعد صلح تم بينه وبين ابن أخيه عمر الذي ولي مكناسة و أحوازها . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 199، . ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص ص 27- 30 . Jean Brignon et autres , Histoire du Maroc , librairie nationale , Casablanca 1967 , p 158 .

(2) ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص 368 . عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 551 .

(3) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص ص 98- 99.

وبينما كانت الجيوش المرينية تواصل عملها في الأندلس تقدم أبو يوسف يعقوب فاستولى على ريف تامسنا[1]، وانتصر على الموحدين في معركة أم الرجلين[2] على وادي أم الربيع سنة 660هـ/ 1262م ، ومنذ ذلك الحين أصبح وادي أم الربيع الحد الفاصل بين ملك بني مرين وملك الموحدين.

لم ينتظر أبو يوسف يعقوب طويلا للقيام بالخطوة الحاسمة في التوجه نحو العاصمة الموحدية وافتتاحها ، فتحرك نحوها سنة (661هـ أو 662هـ)/ (1262م أو 1263م) على الأرجح مستغلا في ذلك الخلاف الذي وقع في البيت الموحدي بين الخليفة المرتضى وأبي دبوس[3] الذي لجأ إلى أبي يوسف يعقوب طالبا منه العون والمناصرة على المرتضى، عاقدا معه اتفاقية فحواها تقسيم ما يستولي عليه أبو دبوس فيما هو مقبل عليه ، مناصفة بينهما ، وذلك مقابل إمداده بالمال والجند في حركته للاستيلاء على عرش مراكش[4].

تأمينا لمشروعه وتطلعا لغايته ، لم يتوان أبو يوسف يعقوب في إمداد الثائر الموحدي أبا دبوس بكل ما يحتاجه من مال وجند وعتاد[5]، فسار أبو دبوس بالقوة التي زوده بها بنو مرين في ذي القعدة سنة 663هـ/ 1264م، فمر بمكناس ثم بالمعدن ومنها إلى تادلا ونزل بهسكورة جنوب شرق مراكش على زعيمها مسعود بن جلداسن ، وهناك وفد عليه أنصاره من الموحدين والجند الراغبين في خدمته وأطاعته قبائل عديدة لما أصابها من المرتضى نتيجة

---

(1) الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 23 . محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 30 . الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 194- 197. Jean Brignon , Abdelazize Amine et autres, op.cit. , p 149 .

(2) وقعت هذه المعركة بين بني مرين والموحدين بوادي أم الربيع في موضع شبيه بجزر صغيرة ، ينحصر فيها الماء ، فتبدو وكأنها أرجل فسميت بذلك موقعة أم الرجلين . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 95- 96، ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 202 . الناصري ، المصدر نفسه ، ج 3، ص 24.

(3) أبو دبوس هو لقب لأبي العلاء إدريس بن عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن ، اشتهر به من رفع الدبوس وهو في الأندلس ، والدبوس أحد الأسلحة التي كان يقاتل بها ، وهو له بها خبرة ومقدر في استخدامها .عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ج4 ، المرجع السابق ، ص 555 . محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 32.

(4) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 203 .

(5) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 203 . ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 370 . الناصري ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص 25 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 109.

اتهامهم بالتواطؤ مع أبي دبوس[1] ، فانتشرت بذلك الفوضى، و صارت لقمة سائغة تنتظر طريقها و بذلك استطاع أبو دبوس دخول المدينة بسهولة، خاصة بعد فرار المرتضى ، ولجوئه إلى صهره ابن بعطوش بمدينة أزمور ، هذا الأخير تنكر له و لم يراع صلته به، فرفض استقباله، فلجأ بمن معه إلى مغارات على الشاطئ ورجال أبي دبوس يترصدونه حتى قبضوا عليه في مخبئه ، فسلم إلى صهره الذي أوثقه منتظرا أوامر أبي دبوس الذي أمر بالتخلص منه، وبذلك تولى أبو دبوس خلافة الدولة الموحدية تحت لقب الواثق بالله[2] ، فوصل خبر دخول أبي دبوس مراكش إلى أبي يوسف يعقوب ، فبعث إليه يهنئه بالفتح ويذكره بالاتفاق الذي كان بينهما طالبا منه الوفاء بالعهد ، غير أن الواثق بالله تنكر لتلك الوعود ، وخاطبه أبا يعقوب مخاطبة الملوك لولاتهم والخلفاء إلى عمالهم و الرؤساء إلى خدامهم ، على حد تعبير صاحب الذخيرة[3]، فغضب لذلك أبو يوسف وعزم على غزو مراكش سنة 666هـ/ 1268م ، التي سار إليها في جيش ضخم[4]، فعبر وادي أم الربيع الحد الفاصل بين إمارة بني مرين وخلافة الموحدين واقترب من وادي تنسيفت متبعا في مسيره ما يسمى سياسة الأرض المحروقة من نسف المحاصيل الزراعية وتخريب الضياع ، وتهديم الآثار وتخريب الطرقات والجسور والدور ، وأغار على القبائل المؤيدة للموحدين بقوة وعنف فاضطربت أحوال المنطقة و انقطعت الموارد عن العاصمة وقلت الأقوات ، وغلت الأسعار[5] وكان أبو دبوس عاجزا عن مواجهة بني مرين منفردا فاستصرخ بحليفه يغمراسن بن زيان يستنصره عليهم، فقام يغمراسن بشن الغارات على الأملاك الغربية لبني مرين بوادي ملوية وغيره، متتبعا بدوره سياسة الأرض المحروقة ، فاضطربت أحوال تلك المناطق، مما اضطر أبو يوسف للانسحاب ليعد العدة للقاء بني عبد الواد ، ثم خرج من فاس ليلتقي بخصمه في وادي تلاغ إلى الشرق من نهر ملوية ، في معركة ضارية مني فيها يغمراسن بن

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص 574- 548 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 109 . عبد الله عنان ، نهاية الأندلس ، ص ص 556- 557.

(2) ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 548- 549. ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 111 . محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 33.

(3) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 111.

(4) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 111 . ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 549. عبد الله عنان ، نهاية الأندلس ، ص 563 .

(5) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 115.

زيان بهزيمة نكراء، قتل فيها عدد كبير من أكابر بني زيان وفي مقدمتهم أبو عثمان بن يغمراسن وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة 666هـ/ 1267م[1].

و قد وضعت هذه الهزيمة حدا لأطماع بني زيان في منافسة بني مرين على زعامة زناتة ، و ارتد يغمراسن إلى تلمسان مقتصرا على تكثيف جهوده للمحافظة على إمارته في إقليم تلمسان ، وركن لموادعة بني مرين خاصة بعد المعارك العديدة التي جمعت بينهم[2].

أما أبو يوسف يعقوب فاتجه بقواه كلها إلى الجنوب للفراغ من أمر الموحدين ، فجمع حشوده و خرج من فاس في شعبان 666هـ/ 1268م ، و عبر وادي أم الربيع وكالعادة أتلف الزروع و خرب القرى و الدور ، وغزا القبائل المؤيدة للموحدين ، كتادلا ، صنهاجة[3] و غيرها ، فاتخذ خطة عمادها الانسحاب والتراجع التدريجي نحو الشمال و ألا يصطدم بعده إلا في المكان و الزمان الذي يختاره ، وكان الجيش الموحدي يقتفي أثره من مكان لآخر حتى وصلوا إلى وادي غفو ، و هناك توقف بنو مرين و استداروا للقاء الموحدين ، فنشبت بينهم معركة حامية ، انتهت بهزيمة الموحدين ومقتل أبي دبوس و استيلاء بني مرين على محلتهم ، وذلك في محرم سنة 668هـ/ 1269م[4].

لما بلغت أخبار هذه الهزيمة العاصمة مراكش ، فر أقارب الخليفة الموحدي إلى جبال تنملل في حين سار أبو يوسف يعقوب نحو مراكش التي دخلها في موكب حافل استقبله فيها وجهاء القوم من الفقهاء والقضاة والأشياخ مبايعين له ملتمسين له الأمن والأمان فأمنهم وطمأنهم ، فاستقرت الأحوال وسادت السكينة والهدوء المدينة ، و نزل أبو يوسف في قصبتها[5].

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص 371 ، ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص ص 115- 116.

(2) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 21 .

(3) الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 26.

(4) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 205 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص ص 117- 118 . ابن خلدون، العبر ، ج7 ، ص 375 . عبد الله عنان ، نهاية الأندلس ، ص ص 568- 570 . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 21.

(5) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 118 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 27 . محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 35 .

بمقتل أبي دبوس وسقوط مراكش في يد أبي يوسف يعقوب انتهى عصر الدولة الموحدية ، وقامت دولة أخرى في ربوع المغرب الأقصى هي دولة بني مرين الزناتية[1].

(1) ابن الأحمر ، روضة النسرين ، ص 29 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص ص 161- 162.

المبحث الثاني : الأوضاع السياسية في الدولة النصرية

1- نسب بني نصر :

إذا ذكر اسم غرناطة [1] يأخذنا التفكير إلى قصر الحمراء التي اشتهرت في الأندلس[2] . و ما هو معروف أن الواقع التاريخي يبين لنا أن غرناطة تمثل الفصل الختامي لتاريخ الأندلس بصفة خاصة ، و تاريخ الحكم الإسلامي في اسبانيا بصفة عامة و الذي دام حوالي ثمانية قرون من الزمن[3].

جـــاءت دولة بني نصر أو بني الأحمر بعد ظروف صعبة تنـــاقلت عليها الملوك الواحدة تلوى الأخرى إلى أن استقر بها المقام ، و وصلت إلى أوج قوتهـــا في عهد بني الأحمر . و بعد ذلك تسقط ضحية الاسترداد المسيحي الـــصليبي سنة 896هـــ/ 1492 م ، بعد أن سقطت جميـــع مدن الأندلس الشـــرقية : ميورقة ، بلنسية [4] ، شاطبة [5] ، مرسية و إشبيلية .

---

(1) غرناطة : بمعنى رمانة بلسان عجم الأندلس ، و هي أقدم مدن كورة البيرة يقال لها أيضا أغرناطة و هو اسم أعجمي، و أغرناطة من معمور الإقليم الخامس ، فهي قريبة من الاعتدال ، شامية في أكثر الأحوال بينها و بين قرطبة تسعين ميلا . لسان دين ابن الخطيب ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1347 هـــ ، ص ص 21-22 . Don Francisco Javier Simonet , descrion del rieno de Granada , imprinta nacional , Madrid 1860 , p 28.

(2) الأندلس : كلمة أعجمية عرفها العرب في الأندلس و هي جزيرة كبيرة تغلب عليها المياه الجارية . و كانت غرناطة منتهى الآمال و وسطى قلادة الأمصار ، و لم تزل محاسنها مجلوة على منصة الدهور و الأعصار . شهاب الدين أحمد بن محمد المقري ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق إبراهيم الأبياري و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة 1939 ، ص 55 . اليعقوبي ، البلدان ، منشورات محمد علي بيضون ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2002 ، ص 192.

(3) أحمد مختار العبادي ، صور من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس ، ط1 ، مطبعة سامي و شركاه ، الإسكندرية 2000 ، ص 227 .

(4) بلنسية : مدينة مشهورة في الأندلس متصلة بكور تدمير و هي شرقي تدمير و شرقي قرطبة ، و هي برية و بحرية ذات أشجار و أنهار و بينها و بين تدمير أربعة أيام . اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 195 .

(5) شاطبة : مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة وهي مدينة كبيرة قديمة يجوز اشتقاقها من الشطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 460 . زكريا محمد بن محمود القزويني ، آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان (د.ت) ، ص 539 .

بقيت إمارة غرناطة التي أصبحت آخر قطعة إسلامية وحيدة في بحر مسيحي تقاوم طيلة قرنين و نصف بسبب قوة بني الأحمر [1] ، و هذه المملكة إذا عرفناها وجدناها تنقسم إلى ثلاث أقاليم كبرى و هي إقليم المرية [2] ، و تشمل المرسية حتى شاطئ البحر المتوسط و أهم مدنها : آندرش ، دلاية ، برجة ، البيرة [3]، وغيرها من المدن الأخرى ، أما الإقليم الثاني : ولاية مالقة [4] ، أهم مدنها : مالقة ومربلة ، و أرشذونة [5]، و بلبش ، و الجزيرة الخضراء ، أما الولاية الثالثة : ولاية غرناطة و هي تتوسط المملكة و ممتدة جنوبا و أهم مدنها الحامة ، وادي آش ، سبطة ، و هناك مدن أخرى .

بعد ذلك لابد أن نتكلم على مؤسسي هذه المملكة ، التي اشتهرت مدينتهم بالجهاد الحربي ، التي كانت في الركن الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة أيبيريا ، فبني الأحمر ملوك الأندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على جل المناطق . كانوا في جهاد في أغلب أوقاتهم ، و لم يزل ذلك شأنهم حتى أدرك دولتهم الضعف[6]، و لقد كانت غرناطة على غرار بقية مدن الأندلس ، تابعة لحكم المرابطين ، ثم الموحدين إلى أن جاء بني الأحمر و هم من العرب الذين جاءوا إلى الأندلس ، يسمون بني نصر و أصلهم يتصل بسعد بن عبادة الأنصاري الصحابي سيد الخزرج -رضي الله عنه- .

---

(1) لسان الدين ابن الخطيب ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2003 م ، ص ص 14-16 .

(2) المرية : مدينة كبيرة من كورة البيرة الأندلسية ، لها باب شر قي يركب منها التجار ، و فيها مرفأ ومرسى عنها . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص ص 119-120 . Don Francisco Javier Simonet , op.cit. , p 70 .

(3) البيرة : هي من مدن الأندلس ، جليلة القدر ، نزلها جند دمشق من العرب و كثير من موالي عبد الر حمن بن معاوية و هو الذي أسسها ، و حولها الأنهار ، بينها و بين غرناطة ستة أميال . الحميري ، الروض المعطار ، ص 28.

(4) مالقة : مدينة أندلسية تقع جنوب شرق الأندلس كانت العاصمة الثانية لملوك بني الأحمر . الحموي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 43 . Don Francisco Javier Simonet , op.cit , p 70

(5) أرشذونة : مدينة بالأندلس معدودة بأعمال ربة ، قبلي قرطبة بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا عنها . الحموي ، المصدر السابق ، ج 1، ص 152 .

(6) المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 511 . Atallah Dhina , op.cit , p 45

مكتبة العلوم الاجتماعية ★ المكتبة ★ جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كانوا من جند أراغون[1]، و تذكر الرواية أنه دخل الأندلس من ذرية سعد بن عبادة رجلان نزل أحدهما أرض تاكرون ، و نزل الأخر قرية سرقوسطة تعرف بقرية الخزرج ، و كان كبيرهم لآخر دولة الموحدين ، محمد بن يوسف بن نصر و يعرف بالشيخ[2]، و لما ضعف أمر الموحدين ، إثر معركة العقاب [3] ، سنة609هـ/ 1212م . مهد محمد بن يوسف ثورته سنة 614هـ/1217 م ، و سيطرته على غرناطة ، و المناطق المحيطة بها في جنوب شرق الأندلس ما بين جيان[4]، و بياسة [5]، و اشبيلية ، على امتداد نهر الوادي الكبير شمالا ، و غربا حتى المرية شرقا ، و يخترقها في الوسط نهر شنيل والداروا [6]، و لقد شجعت هذه الحادثة المؤلمة التي كانت عليها الأندلس بعد كارثة العقاب على قيام بعض الرؤساء و القادة المغامرين بمحاولة الاستقلال بحكم الأندلس بغية إنقاذها من تلك النكسة التي حصلت لها و منهم : القائد الغشتي (AGOSTINO) و الذي بايع محمد بن يوسف بن هود [7] ، في مكان يعرف بالصخور أو الصخيرات (PENASCALES) بالقرب من مرسية سنة 522هـ/ 1128 م ، و صار قائدا الأساطيل في اشبيلية و سبتة [1] .

---

(1) أراغون : أو أرجونة مدينة أو قلعة الأندلس إليها ينسب محمد بن يوسف بن الأحمر الأرجوني من متأخري سلاطين الأندلس . الحميري ، الروض المعطار ، ص 26 .

(2) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 260 .

(3) معركة العقاب : و سميت معركة الموردال بمعنى الممر الجبلي في جبال البشرات الذي يؤدي إلى سهل الأندلس حيث قرطبة . الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 192 . Abdallah laraoui, the history of the maghrib , pinceton university , new jersey 1977 p191.

(4) جيان : هي من أعظم مدن الأندلس و أكثرها خصبا ، كانت بيد بني الأحمر أصحاب غرناطة فأخذها الفرنج منهم بعد حصار طويل ، و هي كثيرة العيون ، طيبة الأرض ، كثيرة الثمار ، و بها الكثير من الحرير عنها أنظر . القلقشندي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 229 .

(5) بياسة : هي مدينة على نهر اشبيلية ، طيبة الأرض ، كثيرة الزرع ، بها الزعفران الكثير و منها يحمل إلى الأقطار عنها . القلقشندي ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص 229 .

(6) عصام محمد شبارو ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ، دار النشر و التوزيع ، القاهرة 1994 ، ص 279 .

(7) محمد بن يوسف بن هود : من أحفاد حكام سرقوسطة ، توفي في المرية على يد وزيره أبي عبد الله الرميمي في 21 كانون الثاني 1298 م . سعدون نصر الله ، تاريخ العرب السياسي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت 1998 م

2- محمد بن الأحمر الأول و تأسيس الدولة :

من القادة الرؤساء الذين اشتهروا في ذلك الوقت أيضا الرئيس محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر [2] ، حاكم بلدة أرجونة ، و قد تصدى لمحمد بن هود بمرسية فسقطت قرطبة سنة634هـ/ 1236 م . و بمقتل بن هود سنة 635هـ/ 1237 م اندلعت الثورة مجددا في مدينة غرناطة لتنتهي بمقتل زعيمها و واليها عتبة بن يحي المغيلي ، و هنا أعلن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي المعروف بابن الأحمر أميرا على غرناطة [3]، و من الصراعات الداخلية التي حدثت بين الأسرة الحاكمة فيما بينها ما حدث بين ابن الأحمر و ابنه أبو الحسن علي بن سعد بن إسماعيل [4]، حيث ثار على أبيه بتحريض من بني سراج و أخرجه من غرناطة و امتلكها ، ثم الـــتراع الذي حدث بين أبي الحسن علي و أخيه أبي الحجاج

= ص 169 . مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، تحقيق عبد القادر بوباية ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2007 ، ص 269 . عبد القادر بوحسون ، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان 2008 ، ص 15 .

(1) أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 228 .

(2) محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر : هو الغالب بالله أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري ولد في أرجونة عام 595هـ/1198 م تربى تربية دينية ، توفي في جمادى الثانية عام 671 هـ ديسمبر 1272م . لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج 1 ، ص ص 42-43 . ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص ص 42-49 . ج س كولان ، الأندلس ، ترجمة إبراهيم خورشيد و آخرون ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري، بيروت ، القاهرة 1980 ، ص 138 . مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص 269 . زامباور ، معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة زكي محمد حسين بك و حسين أحمد محمود، دار الرائد العربي ، بيروت 1980 . ص 93.

(3) عصام محمد شبارو ، المرجع السابق ، ص 279 .

(4) أبو الحسن علي بن سعد بن إسماعيل ، هو أبو الحسن علي بن سعد بن إسماعيل النصري ، و يعرف مولاي الحسن ثار على أبيه سعد و خلعه و سجنه سنة 868 هـ/1464 م و لكنه لم يرتق ، حيث ثار عليه ابنه محمد أبو عبد الله الصغير و خلفه سنة 887 هـ . انتقل إلى المنكب حيث توفي سنة 890 هـ . يوسف شكري فرحات ، غرناطة في ظل بني الأحمر ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت 1982 م ، ص ص 56 61 .

يوسف [1] ، و لم ينته هذا النزاع إلا بعد وفاة الحجاج[2] ، و كذلك النزاع بين أبو الحسن و أخيه أبي عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل [3] ، الذي كان واليا لمالقة ، و قد لجأ هذا الأخير إلى طلب المساعدة من ملك قشتالة [4] ، هنري الرابع ، و هناك نزاع بين أبو الحسن و ابنه أبو عبد الله الصغير[5] ، لينتهي هذا النزاع بجلوس أبي عبد الله على عرش غرناطة و فرار أبيه إلى مالقة التي كان يحكمها الزغل حدث ذلك سنة 886هـ/ 1482 م . و قد دخلت في طاعة هذا الأمير كل من غرناطة و وادي آش و أعمالها ، و بقيت مالقة و غرب الأندلس على طاعة أبيه [6] ما هو ملاحظ أن الله تعالى أعطى لمملكة غرناطة طبيعة ذات جبال شامخة ، مثل جبال البشرات[7]، وجبال سيرانيفاذا [8]، و لها أيضا ساحل طويلا على البحر المتوسط ممتدا من المرية شرقا إلى جبل طارق و الجزيرة الخضراء

---

(1) أبي الحجاج يوسف : يوسف بن إسماعيل بن فرج ، سابع ملوك بني الأحمر ، حكم بين سنتي 733 هـ-755 هـ و هو معروف بيوسف الأول . لسان الدين ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص ص 102-110.

(2) علي حسين الشطشاط ، نهاية الوجود العربي في الأندلس ، دار القباء للطباعة و النشر ، القاهرة 2001 م ، ص 63 . Abdallah laraoui , op.cit , p 196

(3) أبي عبد الله محمد بن سعد : " الزغل " كانت بينه و بين أبن أخيه أبي الحجاج حربا أهلية فقتله ، و له فتنة أخرى مع ابن أخيه أبي عبد الله محمد المدعوم من طرف قشتالة ، فارتد الزغل إلى وادي آش و تحصن بها ، وأصبح ملكا ، و بعدها خرج منها بعد سقوطها سنة 1489 م . المقري ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 268-269 .

(4) قشتالة : إقليم عظيم بالأندلس ، قصبته اليوم طليطلة ، و جميعه اليوم بيد الإفرنج . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 312 .

(5) أبو عبد الله الصغير ، هو محمد بن علي بن سعد بن إسماعيل النصري ، آخر ملوك بني الأحمر ، ثار على أبيه و استولى على غرناطة سنة 1482 م و سلمها للقشتالين سنة 1492 م . ثم رحل إلى فاس بالمغرب و توفي بها سنة 940 هـ . المقري ، نفح الطيب ، ج4 ، ص 529 .

(6) ستانلي لين بول ، الدول الإسلامية ، ترجمة محمد أحمد دهمان و محمد صبحي فرزات ، ط1 ، مكتب الدراسات الإسلامية ، دمشق 1973 ، ص 215 . Abdallah laraoui , op.cit , p 196

(7) البشرات : هي المنطقة الجبلية الواقعة على جنوبي سفوح جبال سرانيفادا جنوب غربي غرناطة . لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج3 ، ص 168 .

(8) سيرانيفاذا : أي جبال الثلج و كان الأندلسيون يسمونها جبال شلير ، و هي تعريب للتسمية اللاتينية noms solorius أي جبل الشمس و ذلك لشدة لمعان قممه المغطاة بالجليد تحت أشعة الشمس صيفا و شتاءا . أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 229 .

جنوبا ، هذا ما جعلها دولة بحرية . من دول المتوسط و عمرت بالأساطيل ، دور الصناعة و المحارس و الموانئ ، و كانت قلعة مدينة غرناطة هي مقر الحكم و السلطان ، و تقع على هضبة مرتفعة تعرف باسم الحمراء نسبة إلى لون تربتها ، و قد انتقل هذا الاسم بلغة الدارجة إلى الأسبانية على شكل (La Alhambra) أما ملوك بني الأحمر فقد سموا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم عقيل بن نصر الذي لقب بالأحمر لشقرة فيه ، و استمر هذا اللون الأشقر الضارب إلى الحمرة ، يظهر في أمراء هذه الأسرة ، ومن ذلك السلطان محمد السادس [1]، الملقب بالبرميخو ، و معناه اللون البرتقالي الضارب إلى الحمرة ، لون شعره و لحيته ، لذلك ليس هناك علاقة بين اسم الحمراء و اسم بني الأحمر . فقد كان ذلك صدفة لأن اسم الحمراء يرجع إلى لون تربتها التي بنيت عليها القلعة[2].

فالحكم العربي في الأندلس قد انحسر و تقلص و اقتصر على منطقة غرناطة التي جعل منها محمد بن يوسف بن نصر حاضرة لدولته التي كانت تضم بسطة ، وادي آش ، شريش ، و مالقة ، جيان ، و المرية ، و كان معظم المسلمين قد رحلوا عنها إلى المغرب ، و غيره قصرا أو خوفا من الانتقام و قد تعلقت آمال هؤلاء الذي بقوا بملوك غرناطة ، و الذين توسموا فيهم الخير و الخلاص من محنتهم[3]. فبدؤوا يتوافدون على غرناطة ، و بينهم الكثير من أهل الفنون و الحرف و من الجنود الإشداء ، و الجهاد في سبيل استعادة عزة العرب و ارتفعت معنوياتهم لمواجهة الخطر الاسباني ، و لما كثرت غزوات الأنصاري لأراضي الأندلس رأى محمد بن يوسف أن الفرصة سانحة له لإنقاذ ما يمكن انقاذه ، فإلتف حوله الأنصار في أرجونة و المناطق المجاورة ، و دخل في طاعته جيان ، سبطة و وادي آش ، و الحصون القريبة رغم معارضة ابن هود له ، ثم توجه إلى قواعد الأندلس الجنوبية ، لأنها بمنأى عن غزوات العدو الاسباني . و رأى أن يستظل بدعوة الخلفاء المسلمين ، فدعا لأبي زكريا الحفصي حاكم ولاية افريقية و للخليفة

---

(1) محمد السادس : هو سادس ملوك غرناطة في ظل بني الأحمر ،أخذت له البيعة يوم مهلك أبيه يوم الثلاثاء السابع و العشرين لرجب عام 725 هـ ، كان شديد و كان شجاعا ، توفي يوم الأربعاء 13 من ذي الحجة عام 733 هـ . لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج 3 ، ص ص 90-97 . زامبارو ، المرجع السابق ، ص 94.

(2) أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 231 .

(3) لسان الدين ابن الخطيب ، كناسة الدكان ، ص 193 .

العباسي المستنصر و أيدته قرمونة [1]، و قرطبة [2] ، و اشبيلية ، ثم عدلت قرطبة و اشبيلية إلى طاعة ابن هود و نشبت في اشبيلية ثورة قادها القاضي أبو مروان الباجي ، و طرد عامل ابن هود منها ، و بسط نفوذه على المدينة ، و حالفه محمد بن يوسف بن الأحمر ضد ابن هود ، ولكنه ما لبث أن غدر بالقاضي و اغتاله[3]، و قد دخلت في طاعته شريش[4]، و مالقة والحصون القريبة ، و انضم إلى جيشه كثير من المسلمين الذين غادروا المناطق التي أحتلها الأسبان ، فاستطاع تجهيز جيش كبير ساعده على تنفيذ مشاريعه [5] ، و بعد وفاة ابن هود ضم محمد بن يوسف مناطق تحت سيطرته، و منها غرناطة التي كان يحكمها عتبة بن يحي المغيلي . و قد كان جائرا فثار عليه جماعة فقتلوه ، و أعلنوا لولائهم لأبن الأحمر فسار نحوها ودخل في شهر رمضان سنة 630هـ/ 1232 م و غدت غرناطة قاعدة ملكه [6] ، كان يساعد ابن الأحمر في تحقيق مشاريعه أصهاره بني أشقيلولة المولدين ، و قد قوي نفوذهم لأنهم كانوا يطمعون بأكثر من حكم المدن ، مما جعل ابن الأحمر يخشاهم في آخر أيامه ، و هكذا ولدت في جو تسوده الفوضى ، و كانت بحاجة إلى الاستقرار بعد أن مزقت الفتنة الأندلس وجعلتها فريسة سهلة للأعداء و عاد أمل المسلمين بعد ذلك إلى بني الأحمر للبقاء[7] .

كان فرناندو ملك قشتالة يرى في ابن الأحمر عدوا يجب القضاء عليه حيث قام هذا الأخير بمحاصرة قلعة مركش ، لكنه اضطر إلى رفع الحصار عنها و اشتبك ابن الأحمر مع القوة

---

(1) قرمونة : مدينة في شرق الأندلس ، ومعناها باللسان اللاتيني كارب مويه ، معناها صديقي ، افتتحها عبد الرحمن بن محمد سنة 305 هـ . الحميري ، الروض المعطار، ص 461 .

(2) قرطبة : قائمة الذات بأسوارها و رسومها و قصورها ، و هي مدرجة البنية مدينة فوق مدينة تكثر بها البساتين و الروضات و الجوامع و الديار ، و بلغت أزهى عصورها في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 305 .

(3) سعدون نصر الله ، المرجع السابق ، ص 351 .

(4) شريش : من كور شذونة بالأندلس بينها و بين قشتالة خمس و عشرون ميلا و هي على مقربة من البحر ، يجود زرعها ويكثر ربعها و هو موضع رباط و مقر للصالحين يقصد من الأقطار بين متوسطة حصينة حسنة الجهات قد أضافت بها الكروم الكثيرة و شجرة الزيتون و التين و الحنطة . الحميري ، الروض المعطار ، ص 340.

(5) المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 214 .

(6) المقري ، المصدر نفسه ، ج4 ، ص 422 .

(7) سعدون نصر الله ، المرجع السابق ، ص 351 .

القشتالية ، و هزمها و من هذه الحادثة أخذ فرناندو[1]، ينظر نظرة الثأر ، فبحث جيشا بقيادة ابنه الفونسو فاستولى على أرجونة مسقط ابن الأحمر، ثم حاصر غرناطة سنة 642هـ/ 1244 م[2] .

لكنه تراجع بسبب قوة حصونها المنيعة ، و أعاد القشتاليون الهجوم مرة ثانية على جيان و كادت تسقط عندئذ ، رأى ابن الأحمر أن لا طاقة له بالاستمرار في الحرب . فآثر مهادنة فرناندو و اتفقت معه أنه يحكم مملكته باسم مملكة قشتالة . و دفع جزية سنوية مقدارها 150 ألف قطعة ذهبية و التنازل عن العديد من الحصون ، و بهذا الأسبان قد استولوا على شرق الأندلس و بقي الغرب فريسة سهلة للانتزاع و بدأ فرناندو بحصار اشبيلية في آوت645هـ/ 1247 م . و ساعده في ذلك ابن الأحمر كتابع لمجموعة من الفرسان و بعد سنة و نصف من الحصار الشديد اضطرت اشبيلية للاستسلام و دخلها فرناندو في ديسمبر646هـ/ 1248م ، ليس من المبرر لأفعال ابن الأحمر و مساعدة القشتالين في حربهم ضد المسلمين ، لـــكن عندما وصل الغوث من وراء البحر ، و لبى بنو مرين النداء فعبر إلى الأندلس حوالي ثلاثة آلاف مقاتل وعلى رأسهم القائد محمد بن إدريس المريني ، و أخوه الذين أرسلهم السلطان يعقوب بن عبد الحق[3] ، تبدل موقف ابن الأحمر ، و تحول إلى عدو للأسبان . فعندما هاجموا أرضه استطاع أن يهزمهم فكان أول انتصار تحرزه الأندلس على أعدائها ، لكن لم يبقى الأسبان ساكنين ، فقد أعادوا الهجوم على المملكة الإسلامية ، فأغار الفونسو على الجزيرة الخضراء و عاث فيها فاستنجد ابن الأحمر بالسلطان أبي يوسف يعقوب المريني ، و لكنه توفي قبل وصول الإمدادات إليه .

---

(1) فرناندو : كان ملك أراغون و صقلية (1479-1516) ، تزوج سنة 1469 من إيزابيلا ، كان هدفه طرد المسلمين وتوحيد المماليك المسيحية . شكيب أرسلان ، خلاصة تاريخ الأندلس ، دار مكتبة الحياة ، لبنان 1983 ، ص 326 .

(2) المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 216 .

(3) ابن الأحمر ، روضة النسرين ، ص 17 .

3- سلاطين بني نصر و الصراع مع النصارى :

بعد وفاة ابن الأحمر خلفه ابنه محمد الثاني الملقب بالفقيه[1](672-702هـ/ 1273-1302 م) حيث سار على خطي والده ، في سياسة المهادنة لملك قشتالة ، و كان له دور كبير في رد هجماته ، حيث غزى الأندلس أربع مرات ، فالأولى حقق فيها نصرا سنة 674 هـ/ 1275 م . و عاد بالغنائم و في الثانية حاصر اشبيلية وقرطبة ، و هاجم جيان سنة676هـ/ 1277 م و في الثالثة غزاها مرة أخرى ، و كذا المرة الرابعة سنة684هـ/ 1285م ، فطلب ملك قشتالة الصلح معه ، و هذا ما أعطى دفعا قويا لوجود غرناطة و لكمال تأسيسها [2].

و قد تمكن أيضا أبو عبد الله (701-755هـ/ 1301-1354م) حفيد نصر بن محمد الثالث [3] ، من إنزال الهزيمة بملك قشتالة فرناندو الرابع ، و تمكن أيضا بعدها محمد الرابع بن أبي الوليد [4] ، (726-733هـ/ 1325م-1332م) من الانتصار على ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر وكذلك فعل خليفته يوسف الأول شقيق أبي عبد الله (733-755هـ/ 1332-1354م) الذي استشهد ابنه في إحدى المعارك ، و يعود هذا الانتصار بفضل الدعم المستمر من بني مرين في المغرب ، مما حقق التوازن العسكري الذي مكن

---

(1) محمد الثاني (الفقيه) ، محمد بن محمد بن يوسف ، لقب بالفقيه لغزارة علمه و تقواه ، ولد بغرناطة سنة 533 هـ/1235م ، كان أديبا عالما يقرض الشعر و يؤثر مجالسة العلماء و الأدباء . محمد عبد الله عنان ، نهاية الأندلس و تاريخ العرب المتصرين ، ط4 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1987 ، ص ص 94-95 .

(2) عصام محمد شبارو ، المرجع السابق ، ص 284 .

(3) محمد الثالث : يكنى أبا عبد الله ، كان من أعاظم أهل بيته صيتا و همة هو محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر يتولى الأمر بعد أبيه ، حيث أملت بابه الفتوح و سالمته الملوك ، توفي أوائل شوال من سنة 710 هـ ، ذكر أنه اغتيل غرقا في البركة دفن في مقبرة السبيكة مدفن قومه ، بجوار الغالب بالله جده . لسان الدين ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص ص 60-68 .

(4) محمد الرابع بن أبي الوليد : هو إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد ابن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي ، كان = جميل الخلق ، و كان منقطع إلى الصيد مصروف اللذة ، بذل العدل في رعيته و اقتصد في جبايته ، قتل من طرف ابن عمه محمد بن إسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة دفن ليلة يوم الثلاثاء ثاني يوم موته بروضة الجنان من قصره إلى جانب جده. لسان الدين ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص ص 78-87.

غرناطة من البقاء و مواجهة مملكة قشتالة . و بدأ واضحا في زمن محمد الخامس [1] ، الذي ازدهرت غرناطة في عهده [2] ، كما ذكرنا أن ازدهار غرناطة مرتبط بفترة محمد الخامس طيلة أربع وثلاثين سنة ، و على مرحلتين منفصلتين الأولى (755-760هـ/ 1354-1359م) ، وبعد ذلك اضطر محمد الخامس فرار مع وزيره ابن الخطيب [3]، نحو الدولة المرينية ، و رحب بهم سلطانها أبو سالم ابراهيم المريني وهناك كان ابن الخطيب يؤلف فكتب " اللمحة البدرية في الدولة النصرية " وكتاب " نفاضة الجراب في علالة الاغتراب "و في سنة 763هـ/ 1362 م عاد إلى المغرب و تميز عهده بفترة جديدة بسيطرة الوزراء على الحكم [4] ، و من بين الملوك الذي أتو بعد محمد الخامس شقيقه يوسف الثالث سنة 809هـ/ 1407 م ، ثم خلفه محمد السابع الأيسر ابن أبي الحجاج [5]، (819-857هـ/1417-1454 م) و هي فترة طويلة.

4- سقوط غرناطة و معاهدة الإستسلام :

لقد اعتمد محمد السابع على بني سراج لمواجهة المؤامرات التي أطاحت بحكمه مرتين الأمر الذي انتهى بضعف إمارة غرناطة ، و الذي استمر في عهد خلفائه سعيد بن إسماعيل (857-866هـ/ 1454-1463) ، ثم أبي الحسن علي " الغالب بالله " الذي انقسمت في عهده غرناطة إلى دولتين و سقطت مالقة ، و قد حاول أبو الحسن " الغالب بالله " القضاء على الاضطرابات الداخلية و مجاهدة قشتالة لكن أخاه المعروف بالزغل تمرد عليه بمساعدة ملك قشتالة[6]، وبسبب هذا الصراع انقسمت المملكة بين الأخوين أبو الحسن في غرناطة و الزغل

---

(1) محمد الخامس : هو الغني بالله محمد بن يوسف ، حكم ما بين سنتي 755-760هـ ثم بين سنتي 762 - 794 هـ . يوسف شكري فرحات ، المرجع السابق ، ص ص 45-50 .

(2) المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 358 .

(3) ابن الخطيب : ولد في مدينة لوشة في 26 رجب 713هـ ، نشأ في غرناطة و بها تلقى تعليمه تلقى منصب الوزارة لدى السلطان أبو الحجاج يوسف . إن جعله كاتب سره في مكتبة السلطان ، و كذا في عهد الغني بالله . قضى آخر أيامه في فاس و قتل في سجن خنقا في أواخر 776 هـ حرقت جثته مع شعره . أبي العباس أحمد بن حسن بن علي ابن قنفد القسنطيني ، الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت 1982 م ، ص ص370-371 .

(4) عصام محمد شبارو ، المرجع السابق ، ص 285 .

(5) محمد السابع الأيسر : (أبا الحجاج) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج ، سابع ملوك بني الأحمر حكم بين سنتي 733-755 هـ و هو معروف بيوسف الأول توفي يوم عيد الفطر من عام 755 هـ في الركعة الأخيرة حين هجم عليه رجل طعنه بخنجر ، دفن في مقبرة قصره . لسان دين ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص- ص 102-110 .

(6) المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 290 .

في مالقة ، وهنا تدخل مرحلة جديدة في شؤون الدولة ، تميزت بالتدخل النسوي و ما انجرت عنه من اغتيالات سياسية و الخيانة [1]، هنا بدأ يبرز دور عائشة " الحرة " [2]، حيث قام صراع بينها وبين ضرتها الاسبانية التي أنجبت ولدين ، و أخذت تعمل على تولية أحدهما الملك ، في حين أرادت عائشة تولية ابنها أبو عبد الله المعروف بابن الحرة[3] ، و ما أن خرج أبو الحسن من غرناطة لنجدة إحدى قلاعه من هجوم قشتالي حتى انقلب عليه أنصار عائشة ، و بايعوا ابنها أبو عبد الله سنة 886هـ/ 1482م . فالتجأ إلى شقيقه الزغل في مالقة ، و ما لبث ابن الحرة حتى وقع في الأسر سنة 887هـ/1483 م إثر حصار لوسينا [4].

لم يتوقف الأمر عند ذلك الحد بل حاولت عائشة الإمساك بزمام الأمور في غرناطة ، فدفعت زوجها المخلوع لتسلم الحكم لكنه ما لبث أن تنازل عنه لأخيه الزغل سنة 889هـ/ 1485 م ، فتحركت بعد ذلك لتفتدي ابنها الأسير السلطان أبو عبد الله يقود الحرس الملكي و موسى يقود الفرسان ، إذ دارت معركة في جوانب الحصن ، حيث انهزم الحرس الملكي واضطر موسى إلى التراجع نحو داخل المدينة [5]، و أمام وطأة هذا الحصار الخانق ، ظهر موقف ابن الحرة و القادة معه ، قرارا بتسليم المدينة ، و اعتراف أبي عبد الله بطاعة الملكين فرديناند وإيزابيلا [6] ، و أرغم على دفع جزية سنوية مقدارها 12 ألف دوبلا من الذهب ، وإطلاق سراح 400 أسير نصراني في غرناطة فورا إطلاق سراح 70 أسير سنويا لمدة خمس سنوات ، وأن يقدم رهائن إلى الملكين من كبار زعماء غرناطة ، و ساعد فرديناند في إخضاع المدن

---

(1) المقري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 294 .

(2) عائشة " الحرة " : ابنة أبي عبد الله الأيسر التي تزوجها أبو الحسن على الغالب بالله فرزق بولدين أحدهما ، أبو عبد الله الضروي بابن الحرة . محمد لبيب البتنوني ، رحلة الأندلس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (دت) ، ص 151 .

(3) أبوعبد الله : معروف بان الحرة هو محمد بن علي بن سعد بن إسماعيل النصري، أخر ملوك بني الأحمر ، ثار على أبيه و استولى على غرناطة سنة 1482م و سلمها للقشتالين سنة 1492م . ثم رحل إلى المغرب وتوفي بفاس سنة 940 هـ . المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 529 .

(4) المقري ، المصدر نفسه ، ص 291 .

(5) سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص 397 .

(6) إيزابيلا : ملكة قشتالية كاثوليكية (1474-1504م) ابنة جون الثاني ، تزوجت عام 1469 م بفرناندو ملك أرغون الذين مهدا لتوحيد اسبانيا كان لهما الدور الكبير لدعم رحلة كريستوف كولمبس إلى العالم الجديد . شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ص 227 . مؤلف مجهول ، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر ، تحقيق ألفريد البستاني ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2002 ، ص 37 .

الأندلسية الثائرة عليه[1] ، وبعد مفاوضات أبو عبد الله مع المكين انتهى بتوقيع معاهدة تنص على تسليم غرناطة و إطلاق سراح الأسرى [2]، لكن توقيع معاهدة التسليم النهائية كانت سنة 897 هـ/1491 م ، تضمنت الوثيقة ستة و خمسين مادة ، و هذا ما يؤكده محمد عبد الله عنان لكن في كتاب نفح الطيب ذكر أن الوثيقة تضمنت سبعة و ستين مادة [3]، و هنا يقف آخر ملوك بنو الأحمر أبو عبد الله على قمة التل المطل على غرناطة يلقي نظرة أخيرة على آخر معاقل مملكته التي سلم مفاتيحها إلى فرناندو و إيزابيلا . و كان ينخرط بالبكاء في البقعة التي أصبحت تعرف فيما بعد بـ " آخر حسرات المغربي " عندما شدته أمه من طرف جنبه قائلة ، أبك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال .

إذن لا يخفي علينا أن ملوك بني الأحمر كان حكمهم مضطربا لفساد الأخلاق و شيوع الوشايات بين طبقات الناس ، و خصوصا الطبقة العالية منهم مما كان سبب لكثرة نكبة الملوك لوزرائهم ، و كثرة الأيدي التي كانت تعتدي على الملوك من ذوي قرابتهم في الغالب طمعا في الملك ، و رغبة في التمتع بتلك الشهوات ، و اللذات التي استسلم لها بني الأحمر في آخر أيامهم خاصة ي عهد يوسف ابن الغني بالله لضعف رأيه ، و سوء سيرته وعلى الأخص لخلافهم على الملك الذي يؤدي بهم إلى حروب بينهم و استنصارهم لعدوهم الذي كان ينتهز فرصة هذه الحروب فيستولي على بلادهم و حصونهم واحدا بعد الأخر[4]، و نتيجة لسياساتهم التقلبية السريعة التي نفذها ملوك بني الأحمر ، استطاعوا أيضا أن يعمروا مائتين و خمسين سنة (250 سنة) ، بصفتهم آخر سلالة اسلامية في الأندلس ، و انحصروا في الإقليم المناسب والمضيق الذي امتد من ساحل جبل طارق حتى المرية إلى سلسلة جبال رندة و جبال البيرة في الداخل [5] ، و هذا الموقع الاستراتيجي الهام رغم صغر حجمه أعطى لغرناطة صفة دولة من دول المتوسط ، و هي البلاد البحرية التي ظلت عامرة بالأساطيل ودور الصناعة و المحارس ،

---

(1) المقري ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 265 .

(2) عصام محمد شبارو ، المرجع السابق ، ص 292 .

(3) المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص ص 525-526 .

(4) عصام محمد شبارو ، المرجع السابق ، ص 131 .

(5) مؤلف مجهول ، نبذة العصر ، ص 40 . محمد سهيل طقوش ، التاريخ الإسلامي الوجيز ، ط1 ، دار النفائس للطباعة و النشر ، بيروت 2002 م ، ص 266 .

التي ورثت عن أسلافهم المجاهدين منذ أيام الأمويين ، و قد وصفت هذه البلاد بالبحرية لأنها تحتوي على سفن للغزو في البحر ، و كانوا هم الظافرون بالنصر في الغالب على عدوهم و يغيرون على بلاد النصارى بالساحل [1].

(1) عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت 1969 م ، ص 303 .

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الأوضاع الثقافية في الدولتين

المبحث الأول : الأوضاع الثقافية في الدولة المرينية

1- المؤسسات الثقافية

2- أصناف العلوم

المبحث الثاني : الأوضاع الثقافية في الدولة النصرية

1- المؤسسات الثقافية

2- أصناف العلوم

المبحث الأول : الأوضاع الثقافية في الدولة المرينية

1- المؤسسات الثقافية :

شهد المغرب الأقصى في عهد المرينيين حصاد قرنيين من المجهودات العلمية ، بفضل المرابطين و الموحدين في مجالات الثقافة و العلم و الأدب ، و ما إن ظهرت دولة بني مرين حتى توسعت الحياة الفكرية لتشمل جميع المجالات و كافة الفئات ،كما تعددت مراكز التعليم و تنوعت ، و فيما يلي سنذكر هذه المراكز .

1.1- المساجد :

- **الجامع الكبير بتازا** : أنشأ هذا الجامع الخليفة الموحّدي عبد المؤمن بن علي (1152-1163م) ، و وسّعه السلطان المريني أبو يعقوب و أصلحه و رمّمه السلطان أبو عنان ، و يعتبر من أجمل المساجد في شمال المغرب بعد القرويين بفاس[1].

- **الجامع الكبير بفاس** : نسب هذا الجامع إلى السلطان أبي يوسف يعقوب (674هـ/1275م) ، حيث أمر ببناء هذا الجامع بفاس الجديد سنة 676هـ/[2] 21 مارس 1276م ، و سار العمل فيه سريعا و اكتمل و صلّى الناس فيه في يناير 1279م و هو مسجد مغربي أندلسي في هيئته ، يتكوّن من بيت صلاة فسيح يحتل نصف مساحته ، و صحن واسع يحتل النصف الثاني و لا تحيط بالصحن إلاّ مجنبة واحدة في كلّ ناحية ، و في مدخل ببيت الصلاة من الصحن تقوم قبّة صغيرة فوق البلاطة الأولى من الرّواق الأوسط ، أمّا المئذنة فتقوم في الرّكن الأيمن من الجدار المقابل لجدار القبلة أي في الجدار الشمالي[3].

- **جامع الحمراء** : أنشأ هذا الجامع السلطان الأحمر في عصر بني مرين في القرن 8هـ/14م ، و لكن بعض الروايات تروي بأن امرأة حمراء أتت من تافلالت في عصر بني

(1) صالح بن قربة ، المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص 101.

(2) صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص 102.

(3) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 29.

مكتبة العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ★ جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان ★

مرين ، كرّست كلّ ثروتها لبناء هذا الجامع و لذلك سمّي هذا الجامع باسم لآلة الحمراء بفاس الجديد[1].

– **جامع الزهر بفاس الجديد** : شيّد هذا الجامع السلطان أبو عنان في سنة 759هـ/1357م ، و لهذا المسجد مئذنة عبارة عن برج مربّع التخطيط طول ضلعها 3,50م، و ارتفاعها من أرضية المسجد حتى قمّة الشرفات 16,85م ، مطموسة في جزئها الأسفل[2].

– **جامع الشرابليين بفاس الجديد** : يرجع تاريخ هذا المسجد إلى العصر المريني بالمغرب الأقصى ، و بالضبط إلى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، رمّم في عهد السلطان مولاي سليمان (1792-1823م) ، و لم يبق من هذا المسجد سوى المدخل الرّئيسي ، و المئذنة اللّذان احتفظا بمظهرهما القديم[3].

– **جامع أبي حسّان بفاس الجديد** : يرجع تاريخ إنشائه حسب النقش الكتابي الموجود على اللوحة الرخامية المثبّتة فوق المدخل من الحائط الغربي للصحن إلى سنة 742هـ/1341م[4].

و تبرز الدراسات الأثرية الحديثة روعة الفنّ المعماري المريني الذي جعله منفردًا ومميّزًا و لعلّ ما يميّز المساجد المرينية عن سابقتها الموحّدية بأنّ هذه الأخيرة كانت أكثر اتّساعًا منها عمقًا، غير أنّ المساجد المرينية كانت أكثر طولاً منها عرضًا. والذي زاد منها في الإتساع أكثر من غيره هو الصحن خاصّة، فهو يشغل ما يقرب من نصف البناء، و توسيع الصحن يرجع بدون شك إلى أسباب عملية و هو أنه جرت العادة أن تقام الصلاة في فصل الصيف ، في صحن المسجد و قد خصص لذلك في مدخل البهو المحوري محراب ثانوي ، هو ما يسمّى بالعنزة.

(1) صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص 104.
(2) صالح بن قربة ، المرجع نفسه ، ص 105.
(3) صالح بن قربة ، المرجع نفسه ، ص 106.
(4) صالح بن قربة ، المرجع نفسه ، ص 109.

من التغييرات الفنية التي أدخلها المرينيون على جوامعهم ، علّو هذه المساجد ، النموذجي ، و أقواس الأبهاء ذات ارتفاع مساوٍ لارتفاع أعمدتها ، و قد ترك نهائيا القوس المتجاوز و المنكسر و الذي يتجاوز عرض ما بين الأعمدة الذي كان معمولاً به في المساجد الموحّدية أي عادوا إلى القوس ذي الإنحناء نصف الدّائري المتجاوز كمساجد قرطبة[1].

2.1- المدارس :

إختصّت المدارس عمومًا في هذه الفترة بالمغرب الإسلامي بتدريس العلوم الدينية وخاصّة الشريعة الإسلامية و الفقه على المذهب المالكي ، حيث تولّى بنو مرين الدّفاع عنه و حمايته[2].

و قد انتقل نظام المدارس بشكله و وظيفته إلى مدينة فاس المرينية بعد ثلاثين سنة من تأسيس أوّل مدرسة حفصية في تونس و تعتبر الدولة المرينية، أكثر دويلات المغرب الإسلامي نشاطا و حيوية في مجال التشييد العمراني بصفة عامّة و بناء المدارس بصفة خاصّة، حيث أنفق سلاطينها على بنائها و تزيينها أموالا طائلة[3]، و اتخذوا حركة تشييد المدارس مظهرًا لسياستهم الدينية والعلمية ، و بالتالي مظهرًا للتأثير السياسي و الاجتماعي على رعاياهم ، رغبة في تحقيق أهدافهم الرّامية إلى إعادة توحيد المغرب الإسلامي تحت لوائهم سياسيا و دينيا و إداريًّا ، بعد قضائهم على دولة الموحّدين[4] ومحو تعاليم ابن تومرت و العودة بالمذهب المالكي إلى مكانته السابقة[5].

لتحقيق ذلك أكثروا من إقامة المدارس في المغربين الأقصى و الأوسط ، و قد انتشرت هذه العملية خاصة على عهد أبي الحسن و ابنه أبي عنان و منها :

---

(1) عبد العلي بلامين ، بغية السائلين عن عالم القرويين في عصر بني مرين ، بحث لنيل الإجازة في شعبة الدراسات الإسلامية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس 2006 ، ص 30 .

(2) شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ج2 ، ترجمة محمد مزالي وبشري سلامة ، الدار التونسية للنشر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1969 ، ص 240 . هوارية بكاي ، العلاقات السياسية و الثقافية بين الدولتين الزيانية و المرينية ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، تلمسان 2008 ، ص 151 .

(3) G. Marçais, l'architecture musulmane d'occident, Paris, 1955 , p 285 .

(4) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 108.

(5) الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 65.

- مدرسة الصفارين :

كانت أولى المدارس التي بناها بنو مرين ، بناها السلطان يعقوب بن عبد الحق (657-685 هـ/1258-1286م) ، و سميت بهذا الاسم لأنها تقع بالقرب من السوق الذي تصنع فيه أواني النحاس الأصفر ، و لما تم بناءها عين لها السلطان المدرسين ، و أعطى لطلبتها النفقة ، كما زود المدرسة بخزانة كتب وردت إليه من الأندلس[1] ، و جاءت مدرسة الصفارين بسيطة في بنائها ، حيث يحتوي صحنها على بركة مستطيلة الشكل اصطفت على جوانبها غرف الطلبة ، و تضم مصلى تقام فيه الصلوات[2] ، و قبل وفاته بقليل سنة 685هـ/1286م ، أنشأ السلطان أبو يعقوب مدرسة أخرى بمراكش[3]. و مسجدًا جامعا بمكناس يضم مدرسة ، كما أنشأ مدرسة أخرى في فاس البالي في مسجد جامع القرويين و ابتنى في هذه الأخيرة دارًا لطلب العلم[4].

- مدرسة فاس الجديد أو مدرسة دار المخزن :

شيدها السلطان أبو سعيد عثمان الثاني بن يعقوب (710-732هـ / 1310-1331م)[5].

- مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى :

بناها الأمير أبو الحسن المريني في عهد والده السلطان أبو سعيد عثمان، و استغرق بناؤها عامين (721-723هـ) (1321-1323م)[6]، تقع بالقرب من جامع الأندلسيين بفاس ، و هي عبارة عن مجمّع معماري متكوّن من مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى و المدرسة الصغرى أو مدرسة السبعين ، و دار للضيافة عرفت بدار أبي حبسة "،

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 210 . الجزنائي ، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط 1991 ، ص 74 . روجيه لو تورنو ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نقولا زيادة ، مؤسسة فرنكلين للطباعة و النشر ، بيروت 1967 ، ص 28 .

(2) شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 241 .

(3) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 324.

(4) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 29.

(5) الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 175.

(6) الناصري ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص 176 .

حسب اللّوح التأسيسي للمدرسة ، لكن سقطت هذه الدّار كليا وأعيد بناؤها سنة 1946م[1].

تحتوي هذه المدرسة على حوض كبير يتوسط صحنها نُقِلَ إليها من الأندلس عبر البحر ، و هو حوض كبير من الرّخام الأبيض ، و كانت تدعى أيضا بمدرسة الرّخام ، و لعلّ هذه التسمية تنسب إلى هذا الحوض ، و قد وضع هذا الأخير في هذه المدرسة سنة 725هـ/1325م ، و بعدها حُوّل إلى المدرسة المصباحية بعد بنائها ، و لا زال يتواجد بها إلى يومنا هذا. و تضمّ هذه المدرسة كتلتين رئيسيتين: أولهما المدرسة نفسها والثانية قاعة الوضوء ، ويتوسط هذه المدرسة صحن مستطيل، تليه قاعة الصلاة جنوبًا ، و يقع مدخل هذه القاعة مع المدخل الرّئيسي للمدرسة[2].

لكن يبدو أنّ هذه المدرسة تعرّضت إلى تشوّهات كبيرة في زخارفها ولتدهور كبير في الفترة الإستعمارية و قبلها رغم الترميمات التي أجريت عليها في عهد السعديين الذين أعادوا بناءها بالكامل تقريبا [3].

– مدرسة السبعين :

بناها الأمير أبو الحسن ، في نفس الفترة التي بنيت فيها مدرسة الصهريج (721-723هـ/1321-1323م) ، وتعدّ ملحقة لها لاتصالها بها و صغر حجمها الذي لا يتعدى نصف حجم مدرسة الصهريج ، و هي تتصل معها في الجدار الشرقي الجنوبي بواسطة باب يفتح على قاعة صلاة المدرسة الكبرى. -الصهريج- في الجدار الشرقي لها وسميت بمدرسة السبعين لأنها خصّصت للقراءات السبع[4]، و تتكوّن هذه المدرسة من صحن مكشوف و قاعة للصلاة و غرف للطلبة و المقرئين ، إلاّ أنّ هذه المدرسة هي

---

(1) العربي لقريز ، مدارس السلطان أبي الحسن (مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا، دراسة أثرية و فنية) ، مذكرة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية ، تلمسان 2001 ، ص 34 .

(2) العربي لقريز ، المرجع السابق ، ص 35.

(3) العربي لقريز ، المرجع نفسه ، ص 37 .

(4) كان يقرأ فيها القرآن على حسب التلاوات السبع المشهورة للقرآن و هي : قراءة نافع و قراءة ابن كثير الدّاري وأبي وأبي عمر اليحصبي و حمزة ابن حبيب و قراءة الكسائي. محمد بلامين ، المرجع السابق ، ص 33 .

الأخرى عانت التخريب ، فأجريت عليها ترميمات أفقدها زخرفتها الأصلية ، بحيث أعيد تشكيل معظمها.

– مدرسة العطّارين بفاس :

بناها السلطان أبو سعيد ، و قد شرع العمل فيها سنة 723هـ/1323م . و انتهت سنة 725هـ/1325م[1].

– المدرسة المصباحية بفاس:

بناها السلطان أبو الحسن بالقرب من جامع القرويين نسبة إلى الإمام مصباح بن عبد الله الباصلوتي ، و هو أول من عين للتدريس فيها[2] ، و تحتوي هذه المدرسة على مائة و سبعة عشر غرفة ، و تحتفظ بسقف جميل من الخشب المنقوش ، كما تمتاز بأناقة دهليزها و مصلاها[3] ، و قد جلب السلطان أبو الحسن لهذه المدرسة من الأندلس بيلة من الرخام الأبيض و زنها مائة و ثلاث و أربعون قنطارا[4] .

تحتوي المدرسة على بيوت للوضوء يفصلها عن مدخل القرويين مدخل مستقل حسبما يذكر التازي بأنّه توجد لوحة رخامية تصل الميضأة بأحد أبواب جامع القرويين يستعملها الطلبة كممرّ يمشون فوقها حفاة إلى المسجد بعد الوضوء مباشرة ، و تعدّ هذه المدرسة أغنى المدارس المرينية لما توفّره لها عائدات الحبوس من غابات الزيتون و البساتين و خزائن الدباغة و الحوانيت التي تدرّ بعائداتها على الطلبة و المدرّسين ، لكن رغم هذا الثراء إلاّ أنّ المدرسة عرفت تصدّعًا كبيرًا في هيكلها ، فأغلقت تمامًا في مطلع القرن الماضي[5].

– المدرسة البوعنانية بمكناس:

بعد اعتلاء أبي عنان عرش بني مرين شرع في بناء سلسلة من المدارس حملت اسمه ، و منها المدرسة البوعنانية بمكناس التي بدأت الأشغال فيها على عهد السلطان أبي الحسن في حدود سنة 745هـ/1345م غير أنها لم تكتمل إلاّ في عهد ابنه و لذلك حملت اسمه و هي

---

(1) G. Marçais, op.cit. , p 286 .

(2) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 226 .

(3) ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 272 . الناصري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 56 .

(4) الجزنائي ، المصدر السابق ، ص 27 .

(5) عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص 363.

تقع بالقرب من الجامع الكبير بمكناس ، وهي كمثيلاتها من المدارس المغربية تضم صحنا يتوسطه حوض مربّع و قاعة للصلاة ، و غرف للطلبة موزعة على طابقين أرضي وعلوي ، وبيوت للوضوء. وأهم ما يميّز هذه المدرسة مدخلها الشاهق الملبس بالنحاس والذي يشبه إلى حد ما بوابة جامع المنصورة بتلمسان و بوابة سيدي أبي مدين بالعبّاد ، أجريت لها ترميمات عديدة جعلتها تفقد أصالتها الفنية و الزخرفية و قد أعيد بناؤها كلية سنة 1919م[1].

– **المدرسة البوعنانية بفاس** : تدعى المدرسة المتوكلية كذلك ، و هو أحد ألقاب منشئها السلطان أبو عنان، و يقول عنها حسن الوزّان بأنّها تمتاز بروعة فائقة سعة و جمالاً[2]. و تعد هذه المدرسة ختامًا لسلسلة المدارس العظمى التي أنشأها بنو مرين.

– **مدرسة أبي الحسن – سلا** : تعتبر هذه المدرسة من أحسن المدارس المرينية شكلاً و رونقًا ، و أرفع المباني القديمة و أتقنها و ضعا و إحكاما و لطفًا و ظرفًا وقد أودعها الصنّاع من بديع الصنائع ما لا مزيد عليه من الحسن والإتقان وحالها اليوم شاهدة بذلك .

كان بنائها سنة ثلاث و ثلاثين و سبعمائة ، حسبما هو مكتوب على بابها نقشا في الخشب الذي هو فوق القوس الحجري و نصّ ذلك : « إقتضى أمر أمير المسلمين هذه السنة في أسعد حين لثلاث و ثلاثين بها أسّست و السبعمائة ، أضرعوا الله في النصر له و أدخلوها بسلام آمنين». وتم بناؤها يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى عام إثنين و أربعين و سبعمائة حسبما هو مكتوب برخامتها المنصوبة بحائطها الجوفي بداخل المدرسة[3].

أمّا عن بانيها فهو السلطان أبو الحسن المريني[4] دفين شالة المتوفي سنة 752هـ ، و هو المعروف عند العامة بالسلطان الأكحل لشهرة لونه[5].

---

(1) العربي لقريز ، المرجع السابق ، ص ص 48- 49.

(2) الحسن الوزّان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 215 .

(3) محمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي ، تاريخ المدرسة المرينية بطالعة سلا ، تحقيق عبد العزيز الساوري ، مجلة دعوة الحق ، السنة 33 ، العدد 293 ، الرباط 1992 م ، ص 128 .

(4) محمد بن القاسم الأنصاري السبتي ، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، الرباط 1983 ، ص 28 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 175.

(5) أبو الحسن المريني هو واسطة عقد الأسرة المرينية ولد في صفر 697هـ و بويع يوم الجمعة 25 ذي القعدة سنة 730هـ ، توفي بجبل هنتاتة جنوبي مراكش ليلة الثلاثاء 27 ربيع الأوّل سنة 752هـ ، و نقل بعد دفنه بمراكش إلى شالة فدفن بها ، الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 118- 179.

نظرًا لوفرة أحباس المدرسة التي كان قد أوقفها عليها السلطان أبو الحسن ، لأجل العلم و العلماء و الفقهاء من الطلبة و المتعاطين القراءة و توزيع الأموال التي تستفاد من تلك الأحباس على من ذُكر من المدرّسين و المتعاطين ، كان الطلبة بها كثيرين جدًّا و المدرّسون ، و يذكر أنّ الوزير ابن الخطيب السلماني ورد عليها فلقيه بها من شعرائها عدد كبير ينيف على المائة شاعر في مختلف القافيات و الأوزان و ذلك ما جعله يفضل السكن بها مدّة من عمره عند خروجه من الأندلس[1].

كانت تدرّس بها سائر العلوم الشرعية و سواها ما بين رسائل من علوم اللّسان و مقاصد من علوم الدّين و كماليات من علوم التصوّف و الفلسفة والصنائع ، و أفاد ابن الخطيب في كتابه "مُثلى الطريقة في علم الوثيقة" أنّ أهل سلا في عصره أواسط المائة الثامنة للهجرة كانت لهم مشاركة في سائر العلوم وإختصاص يبعضها التي لا يتعاطاها سواهم إذاك و الدّليل على الاختصاص المذكور أنّ أعيان علماء فاس في ذلك الزمان كانوا يرحلون إلى سلا لأخذ الطب و التصوّف عن أساتذتها كالعلاّمة الطبيب ابن غياث السلوي[2] ، و الطبيب الماهر أبي الفضل العجلاني السلوي[3]، و كلاهما له تأليف في الطب و التشريح والعلاج ، و كانا يديران الأعمال العلاجية و الدراسة بمارستان أبي عنان المريني[4]، بداخل مدينة سلا في حدود 760هـ ، و يأخذان علم التصوّف حالا ومقالاً عن الشيخ الصوفي سيدي الحاج أحمد بن عاشر الأندلسي[5]، والخطيب الصالح أبي الحسن سيدي علي بن أيوب[6]، و الولي الكبير سيدي سيدي عبد العزيز الصنهاجي[7].

---

(1) محمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي ، المرجع السابق ، ص 129 .

(2) نفسه ، ص 130 .

(3) نفسه ، ص 131 .

(4) نفسه ، ص 132 .

(5) نفسه ، ص 131 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 89-91 .

(6) الناصري ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص 91.

(7) محمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي ، المرجع نفسه ، ص 36 .

ذكر المؤرّخ أبو عبد الله الحضرمي في تاريخ نسبه المسمّى بلغة الأمنية [1]:" أنّ الإمام المشارك أبا عبد الله محمد بن المحراد السلوي[2] كان من أهل المشاركة في كثير من العلوم التي منها : الطب ، و التشريح ، و سواهما ".

كان لهذا العهد من علماء سلا الأعيان أبو محمد عبد الله بن الصّباغ السلوي المتوفي عام 747هـ[3]، و الشيخ أبو الحسن علي بن موسى المطماطي السلوي المتوفي عام 773هـ 773هـ ، أوّل من درس بها العربية و الفقه و التفسير، و تولى مشيخة المدرسة لعهد السلطان بانيها، العلامة ابن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي الأندلسي المعروف بسلا إلى هذا العهد بسيدي علي الغرناطي[4].

قال ابن الخطيب في الإحاطة في حقه: « يُكنّى أبا الخير ، صاحبنا حفظه الله، حاله آية الله في الحفظ، و ثقوب الذهن و النجابة في الفنون وفصاحة الإلقاء ، و خريج طبعه و تلميذ نفسه و مبرز اجتهاده إمام في اللغة العربية لا يشق له فيها غبار حفظًا و بحثا و توجيها و إطلاعًا و عثورًا على سقطات الأعلام ذاكر للّغات و الآداب ، قائم على التفسير مقصود للفتيا عاقد للوثيقة ، مشارك في الفنون ينظم و ينثر، فلا يعدو الإحابة و السداد سيلقي ، الصدر ، أبي النفس ، كثير المشاركة مُجدي للصحبة ، بعيد عن التسمّت ، رحل عن بلده مالقة بعد التبريز في العدالة و الشهرة بالطلب ، فاستقر في المغرب بسلا و استوطن بها رئيس المدرسة بها ، مجمهرًا بكرسيها فارعا بمنبرها بالواردة السلطانية يفسّر كتاب الله بين العشاءين شرقًا، كثير العيون، محذوف الفصول[5]، بالغًا أقصى مبالغ الفصاحة مسمعًا على المحال النائية[6]، و يدرس بين الغدوات بالمدرسة دولاً في العربية و والفقه أخذه بزمام النبل مترامية إلى

---

(1) هو كتاب بلغة الأمنية و مقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرّس و أستاذ و طبيب لمؤلف مجهول، تحقيق عبد الوهّاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط 1984 م .

(2) محمد حجّي ، سيدي الإمام السلاوي 788هـ/1376م ، مجلة أبو رقراق ، جمعية أبي رقراق ، العدد 9 ، سلا سبتمبر 1991 ، ص 39- 40 .

(3) محمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي ، المرجع السابق ، ص 132 .

(4) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص ص 116-120 . محمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي ، المرجع نفسه ، ص 132 .

(5) في الإحاطة الفضول .

(6) في الأصل النائية و في الإحاطة النابية.

إلى أقصى حدود الإطلاع ، و حضر المناظرة بين يدي السلطان فاستأثر بشقص من وعيه ، و أعجب بقوة جأشه وأصالة حفظه فأنمى جراياته و نَوَّه به»[1].

لم تزل هذه المدرسة السلوية يتولّى التدريس بها فحول العلماء ، و أعيان القضاة الواردين عليها من الآفاق تنفيذاً لشرط أبي الحسن المريني المحبس و اغتناما لما يعود من النفع العام بتعليم العام و الخاص بحيازة جزء من مال الوقف يستعان به على لوازم الحياة .

فمن المدرّسين بها من أعلام أهل سلا الفقيه المشارك النظار أبو القاسم محمد بن داود بن الفخّار السلوي[2]، كان يقوم على تدريس مختصري ابن الحاجب الأصلي و الفرعي توفي آخر المائة الثامنة، والقاضي العلاّمة المشارك النظار سعيد العقباني التلمساني[3]، و القاضي الفقيه الفرضي أبو الحسن علي بن عطية المكناسي الونشريسي[4]، كلاهما ولي قضاءها لبني مرين ، و من فقهائها القاضي العلاّمة المشارك أبو محمد عبد الله بن سعيد السلوي[5]، من أقران أقران الذي قبله علما و تحصيلا ، و زاد عليهم بالرّحلة إلى مصر و الحجاز فأضاف إلى معلوماته علمًا جمًّا و أسانيد عالية، و ولده العلاّمة المشارك الرّحالة أبو سعيد فرج بن عبد الله بن أبي سعيد السلوي ، شيخ أشياخ الإمام ابن غازي المكناسي ، و الإمام العلاّمة المشارك المدرّس المقرئ أبو عبد الله محمد بن عمران النفزاوي السلوي المعروف بابن المجرد[6] و آخرين يطول تعدادهم.

آخر من درس بها العلوم من أهل عصرنا: الفقيه العلاّمة الفصيح البليغ السيد أحمد بن محمد بن موسى الحسناوي الهمساسي[7] الأصل السلوي الولادة و النشأة و القراءة و الوفاة و المدفن ، كان يقرأ بها علومًا متعدّدة كالنحو و البيان و المنطق و الأصول و التوحيد و الفقه والحديث و التصوّف و سواها من سنة 1302هـ إلى سنة 1310هـ ، حيث انقطع التدريس بها منذ ذلك الحين ، و لعلّ السبب في ترك القراءة و التدريس بها راجع إلى مجاورتها

(1) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص 116، 117.
(2) محمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي ، المرجع السابق ، ص 33 .
(3) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص 178.
(4) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص 144.
(5) محمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي ، المرجع نفسه ، ص 135.
(6) نفسه ، ص 133 .
(7) نفسه ، ص 134 .

للمسجد الأعظم و إضافة أحباسها لأحباسه و كونها ضيقة المساحة لا تسع حلقات الدروس المتعدّدة و تعدّد الفقهاء والتلاميذ و الطلبة و تباين المعارف و العلوم و المسجد الأعظم جوارها متسع المساحة ، ويمكن أن تدرّس فيه سائر العلوم بسائر الأوقاف مع تعدّد المدرّسين والطلبة من غير حصول تشويش و لا اختلاط بخلاف المدرسة المذكورة ، فلا يتأتى أن يعقد فيها مجلسان في آن واحد ، لكن استقرار الطلبة لم يزل معروفًا بها في القديم و الحديث : و هناك يشتغلون بالمطالعة و الكتابة و حفظ أمّهات العلوم التي يدرسونها على أشياخهم بالجامع الأعظم ، و كثيرًا ما كان يستقر بها الفضلاء الصالحون و العبّاد الزاهدون و آخر من إستقر بها من صلحاء عصرنا الفقيه المؤدب سيدي محمد بن سالم الحناوي[1] المتوفى سنة 1325هـ .

3.1 – الزوايا :

شيد المرينيون العديد من الزوايا سواءًا بالمغرب الأقصى أو بالمغرب الأوسط عند إحتلالهم له كزاوية سيدي الحلوي .

أمّا عن زوايا المغرب الأقصى فهي كثيرة ، مثل زاوية مقبرة سلا[2]، و الزاوية المتوكّلية التي بناها السلطان أبو عنان نفسه و بنفس المدينة و هي معاصرة لزاوية سيدي الحلوي[3].

ويسبق ذلك كلّه رباط تافرطاست[4] أو زاوية تافرطاست التي بناها أبو يوسف يعقوب يعقوب سنة 684هـ/1285م[5] بالقرب من مكناسة ، و التي خصّصت لتلاوة القرآن على

---

(1) محمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي ، المرجع السابق ، ص 38 .

(2) شيّد السلاطين المرينيون هذه المقبرة في سلا بجوار الرباط دفن أكثرهم فيها مثل: أبي يوسف ، و ابنه أبي يعقوب ، و أبي ثابت و أبي سعيد عثمان ، و آخرهم أبي الحسن الذي أجرى فيها أعمالاً جليلة و أحاطها بسور حيث وجد نصّ تأسيسي في لوحة منقوشة بكتابة نسخية كانت تعلو المدخل التذكاري للمقبرة حيث تشير إليها بصيغة رباط و في تاريخ يعود لفترة أبي الحسن. و بنيت داخل أسوار هذا الرباط العديد من القباب و الأضرحة على قبور السلاطين المرينيين ومن دفن معهم من العلماء و الأولياء. كما ضمّت هذه الأسوار مصلّيات أو خلوات أو زوايا أهمّها الخلوة أو الزاوية المعروفة باسم خلوة سلا التي أسسها أبو الحسن قبل وفاته بأربعة عشر سنة السبتي محمد بن القاسم ، المصدر السابق ، ص 50 .
G. Marçais, op.cit , p 282 .

(3) ابن الحاج النميري ، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزّاب ، دراسة و إعداد محمد بن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1990 ، ص ص 93-94 .

(4) ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص 435.

(5) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 257.

روح الأمير المريني أبي محمد عبد الحق بن محيو و ولده إدريس اللّذين قتلا في معركة واجرهان سنة 614هـ/1217م ، ضدّ بني عمومتهم بنو عسكر و مناصريهم عرب رياح[1].

لقد إختلف ابن أبي زرع و ابن خلدون في التعبير الإصطلاحي للمبنى الذي شيّده أبو يوسف ، فالأول يسميه الزاوية و الثاني يسمّيه الرّباط ، ممّا يؤدّي بنا إلى توحيد المعنى و تشابه الوظيفة.

يقول ابن مرزوق في هذا الصّدد : «و الظاهر أنّ الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدّة لإرفاق الواردين و إطعام المحتاج من القاصدين، و أمّا الرّبط على ما هو المصطلح عليه في المشرق فلم أر في المغرب على سبيلها و نمطها إلاّ رباط سيدي أبي محمد صالح و الزاوية المنسوبة لسيدنا أبي زكريا يحيى بن عمر (نفع الله بهم) بسلا غربي الجامع الأعظم منها. و لم أرَ لهما ثالثا على نحوهما في ملازمة السكّان و صفاتهم وشبههم بمن ذكر نفع الله بهم»[2].

2- أصناف العلوم :

رغم المكانة السياسية و العسكرية التي كانت لدولة بني مرين إلا أنها لم تركز جهودها على هذا الجانب فحسب لضمان بقائها ، بل أدركت أنها لا بد أن ترتكز على أسس متينة وقوية تحقق أهدافها البعيدة ، الرامية إلى توحيد المغرب الإسلامي تحت لوائها ، وإنشاء دولة مترامية الأطراف[3].

ولذلك أولى سلاطين بني مرين الجانب العلمي والفكري اهتماما كبيرا، فقربوا العلماء من مجالسهم وأغدقوهم بالأموال لتحفيزهم على الإبداع والنشاط، وأعطتهم مطلق الحرية في التنقل لانتهال العلوم والتحصيل، فتنوعت على عهدهم العلوم وازدهرت، وتوافد طلاب العلم من كل صوب وحدب على فاس وغيرها من حواضر المغرب الأقصى للإجازة والتحصيل[4] ، وكان اهتمام علماء بني مرين بمختلف العلوم النقلية والعقلية ، إلا أنهم أولوا العلوم الدينية كالتفسير والفقه والحديث عناية خاصة إلى جانب علوم اللغة والتاريخ والطب وغيرها .

---

(1) ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 33.

(2) ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 413.

(3) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 330 .

(4) محمد بن أحمد بن شقرون ، المرجع السابق ، ص 47 .

1.2- العلوم النقلية :

أ – العلوم الدينية (الفقه ، التفسير، الحديث):

ومن أعلامها:

– القاضي أبو الحسن الزويلي المعروف بالصُّغير:

شيخ الشيوخ ، و إمام الفقهاء، العلامة العلم، البحر، المفتي ، المرجع ، ولد حوالي 600هـ ، كان أحد مفتيي المالكية في المغرب ، مرجوعًا إليه في مسائل الدّين و الدّنيا، توفى حوالي سنة 719هـ[1]، و عمره نحو المائة و العشرين عامًا ، درّس بجامع القرويين بفاس ، فتخرّج بين يديه العديد من العلماء و الفقهاء الذين ذاع صيتهم ، فكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى، تَرِدُ عليه الأسئلة من جميع بلاد المغرب، فيحسن التوقيع على ذلك[2].

أقام أوده و عضده فإنطلقت يده على أهل الحياة ، فأقام الحق على الكبير و الصغير وجرى في تولّي القضاء بفاس، قدّمه أبو الرّبيع سلطان المغرب، أخذ عن صهره أبي الحسن بن سليمان و أبي عمران الحوراني ، و عن الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدي ، وإنتفع به و عن أبي سالم بن أبي يحيى[3].

إشتهر بالرّد على أهل البدع عمومًا و الصوفية خصوصًا. من تآليفه : "شرح الشاطبية "، و له رسالة عنوانها "الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر"، و رسالة أخرى وجدت في إحدى الفهارس المجهولة الإسم، و كتاب "فهرس مَا لم يُفهرس" من المخطوطات المغربية في الخزانات و له فتاوى جمعها عنه تلاميذه ، وكتاب "الدّر النثير على أجوبة أبي الحسن الصّغير"، كُتب عليه تأليف أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي التسولي التازي المعروف بابن أبي يحيى، جَمَعه أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، و وضع رُتَبَهُ و نَسَّق أبوابه أبو سالم إبراهيم بن هلال بن علي السجلماسي قاضي سلجماسة ، فرغ من تأليفه يوم عيد الأضحى عام 900هـ[4].

---

(1) ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 342 .

(2) الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 87 .

(3) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 240 .

(4) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص242 .

له كتاب شرح تهذيب المدوّنة للبراذعي قال عنه الإمام العالم أبو عبد الله بن مرزوق : «هو شيخ الإسلام جمع بين العلم و العمل ، و بِمَقامه يُضرب المَثَلُ في التفقه والتحصيل».

و للإشارة فهناك إمام آخر إشتهر بهذا الإسم أي أبي الحسن الصغير المكناسي ، لكن هذا الأخير كان متأخّرًا ، و هو الذي ردّ على السّنوسي الصّوفي الأشعري في كتاب سمّاه "نصرة الفقير في الرّد على أبي الحسن الصغير"، و جاء ذلك إثر تأليف المكناسي لكتاب إسمه : " الردّ على الفقراء " شنّع فيه على الصوفية و بيَّنَ ضلالهم[1].

– القبّاب :

الإمام الحافظ العلامة الصالح الزاهد ، أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن ، أحد الحفاظ المشهورين بالدّين و الصلاح و التقدّم في العلوم ، تولّى الفتيا بفاس ، و له فتاوى مشهورة ، و هو أوّل من نقل الونشريسي عنه في المعيار، أخذ عن الحافظ السطّي و أبي الحسن بن فرحون المدني و القاضي القشتالي و عن الإمام الشاطبي ، و الصالح عمر الرّجراجي و غيرهم[2].

ذكره إبن الخطيب في الإحاطة فقال: هو من صدور عدول فاس فقيه نبيه جيّد النظر سديد الفهم، ولي قضاء جبل الفتح (جبل طارق) ، متصفا بجزالة و دخل غرناطة عام إثنين و ستين و سبعمائة موجها من قبل سلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن ، ثمّ رفض العيش من الشهادة و تنسك على عادة الفضلاء[3] و قال عنه إبن قنفذ القسنطيني : « شيخنا الفقيه الحافظ، الصالح المفتي الحاج أبو العباس ، حضرت مجلسه في الحديث و الفقه و أصول الدّين ، توفي سنة تسع و سبعين و سبعمائة ، هكذا في رحلته ، وزاد في وفاته شيخنا الفقيه المحقق ، له شرح حسن على قواعد عياض ، و شرح بيوع إبن جماعة ، لازمت درسه بفاس في الحديث و الفقه و الأصلين »[4].

من آثاره : اختصار أحكام النظر لابن القطان أسقط فيه الدّلائل و الإحتجاج وشرحه على القواعد في غاية الإتقان ، و له مباحث مشهورة مع الإمام الشاطبي في مسألة مراعاة

---

(1) أبو الوليد أيوب الخريبكي ، أبو الحسن الصغير ، مجلة دعوة الحق ، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية ، ص 10 .

(2) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج 1، ص 100.

(3) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص 187.

(4) ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 372 . التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج 1، ص 100.

الخلاف في المذهب أحسن فيها غاية الإحسان، و نقل عنه البرزلي في ديوانه ، و وصفه بالعلم و الصلح .

وقع بينه و بين الإمام سعيد العقباني مناظرة بل مناظرات و مراجعات في مسائل جمعها العقباني في كتاب سمّاه : «لباب اللّباب في مناظرة القباب»[1].

– محمد بن سليمان السّطي [2]:

الفقيه حافظ المغرب ، العلامة الفرضي الجليل ، أخذ العلم عن إمام المالكية بالمغرب أبي الحسن الصُّغير و تفقه عليه ، و كان أحفظ الناس للمذهب و أفقههم فيه ، أخذ الفرائض عن أبي الحسن الطنجي ، ختم عليه الحوفية ثماني ختمات ، و كان له في فهمه و إقرائه وحلّ عقده اليد الطولى ، إختاره السلطان أبو الحسن المريني مع جماعة من العلماء لصحبته إلى تونس[3].

من تآليفه : تعليق صغير على المدوّنة و شرح جليل على الحوفية و تعليق على إبن شاس فيما خالف فيه المذهب .

أخذ عنه إبن عرفة و العقباني و إبن خلدون ، و المقرّي ، و العبدوسي الكبير، والخطيب إبن مرزوق ، و القباب . حظي بمكانة مرموقة عند أبي الحسن المريني ، إذ كان يؤم به و مفتيه و خطيبه، نشأ مكبًّا على النظر و القراءة و التقييد حتى في مجلس السلطان .

حضر مع السلطان أبي الحسن واقعة القيروان و خلص معه إلى تونس و أقام معه بها نحوًا من سنتين ثمّ توفي غريقًا في سواحل بجاية مع من غرق من الفضلاء وغيرهم[4].

– محمد بن الصبّاغ الخزرجي المكناسي :

يقول عنه إبن خلدون : «كان مبرزًا في المنقول و المعقول عارفا بالحديث ورجاله ، إمامًا في معرفة كتاب الموطّأ و إقرائه ، أخذ العلوم عن مشيخة فاس و مكناسة ، و لقي شيخنا أبا عبد الله الآبلي و لازمه و أخذ عنه العلوم العقلية فإستنفذ بقية طلبه عليه فبرَّزَ آخرًا ،

---

(1) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1، ص 102.

(2) السطي نسبه إلى سطة بطن من قبيلة أوربة .

(3) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص ص 62- 63.

(4) ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ص 33.

و إختاره السلطان فإستدعاه و لم يزل معه حتى هلك غريقا في ذلك الأسطول ، يعني أسطول أبي الحسن آخر سنة خمسين و سبعمائة»[1].

كان إبن الصبّاغ من كبار العلماء فقيها شهيرًا عالمًا علاّمة إجتمع في رحلته إلى تونس التي إستصحبه فيها السلطان أبو الحسن بالإمامين إبن عبد السلام و إبن هارون و الإمامين أبي زيد و أبي موسى إبني الإمام فأخذ معهم في العلم و أعطى. و ممّن مات معه في ذلك الأسطول الفقيه الحافظ السَطيّ و الأستاذ الزواوي ، له نظم في علاقات المجاز[2].

– موسى بن محمد بن معطي العبدوسي [3]:

و به عرف أبو عمران الفاسي مدرّسها و عالمها و مفتيها ، قال عنه إبن الخطيب القسنطيني : «شيخنا و مفيدنا طريقة الفقه الشيخ الحافظ ، مجلسه بفاس أعظم المجالس يحضره الفقهاء و المدرّسون و الصلحاء و حفاظ المدوّنة يحضره من نسخها بيد الطلبة نحو أربعين»[4].

و يذكر إبن الخطيب : «بأنّ الشيخ العبدوسي كان آية الله في المدوّنة، و كان الشيوخ يقولون : فقهاء العصر على ثلاثة أقسام : من أعطى الحفظ فقط و من أعطى الفهم فقط و من جُمعا له و هو سيدي العبدوسي، و قد قيّد عنه شيخنا الفقيه الحافظ عمر إبن موسى تقييدًا كبيرًا في عشرة أسفار على المدوّنة، و له تقييد آخر عليها و آخر على الرسالة»[5].

و يقول في موضع آخر : «كان له في الفقه مجلس لم يكن لغيره في زمانه، لازمته في المدوّنة و الرّسالة بفاس ثماني سنين».

و ممّن كان يحضر مجلسه من كبار الصالحين إبن عبّاد و أبو حفص الرجراجي وأبو عبد الله الهواري و غيرهم من الأئمة.

---

(1) ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ص 46.

(2) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 65.

(3) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص ص 300-301.

(4) ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 369 .

(5) ابن قنفذ القسنطيني ، أنس الفقير و عز الحقير ، تحقيق محمد الفاسي و أدولف فور ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط 1965 ، ص 25 .

العلوم الاجتماعية ★ جامعة أبو بكر

– أم هانئ بنت محمد العبدوسي [1]:

الفقيهة الصالحة أخت الإمام الحافظ عبد الله العبدوسي، قال عنها الشيخ زرّوق في كناشته : «كانت فقيهة صالحة ذات علم و صلاح ، طعنت في السنّ إلى قرب المائة ، توفيت سنة ستين و ثمانمائة ، و هي آخر فقهاء هذه الأسرة الشريفة».

– الشمّاع أحمد بن محمد الهنتاني أبو العبّاس [2]:

أحد تلامذة إبن عرفة، أخذ عنه الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، و ولي قضاء محلّة السلطان أبي فارس ، و وقع بينه و بين الحافظ البرزلي نزاع كبير في مسألة العقوبة بالمال هل هي جائزة باق حكمها أو منسوخة ؟ فوقع بينهما خلاف كبير و هجو، نقل عنه في المعيار.

– أحمد بن سعيد العجيسي المكناسي الخطيب الشهير بالحبّاك [3]:

خطيب جامع القرويين بعد العبدوسي، كان فقيها متصوّفا شاعرًا فصيحًا، ظريفًا علاّمة، نظم مسائل إبن جماعة في البيوع، كان يدرّس بالمدرسة المتوكّلية المعروفة بأبي عنان ولد سنة أربع و ثمانمائة و توفي في حدود سبعين و ثمانمائة بفاس.

– محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد القُوْري [4]:

اللّخمي المكناسي ثمّ الفاسي ، أندلسي الأصل الشهير بالقوري نسبة لبليدة قريبة من إشبيلية، الإمام العلاّمة المحقق له مشاركة في العلوم العقلية و النقلية ، قال عنه تلميذه إبن غازي في فهرسته: " شيخنا الإمام الفقيه العالم العلم العلامة المفتي المشاور الحجة الحافظ المكثر أبو عبد الله ، كان آية في التبحّر في العلم و التصرّف فيه و إستحضار نوازل الفقه و قضايا التواريخ ، مجلسه كثير الفوائد مليح الحكايات لازمته في المدوّنة أعوامًا ينقل عليها كلام المتقدّمين

---

(1) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 316.

(2) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج1، ص 112.

(3) أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي ، ذرة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، ط1 ، ج1 ، دار التراث ، المكتبة العتيقة ، القاهرة ، تونس 1970 ، ص ص 88-89 .

(4) السخاوي ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 280 . التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج2، ص ص 233- 235.

و المتأخرّين من الفقهاء و الموثقين و يطرّز ذلك بذكر مواليدهم و وفياتهم و حكاياتهم و ضبط أسمائهم و البحث في الأحاديث المستدّل بها في نصر آرائهم ، فمجلسه نزهة السّامعين...سمعت عليه كثيرًا من الموطأ ، و بعض سير إبن إسحاق بحثا و تفقهًا و بعض المدارك و الجوزي و وثائق الجزيري و مختصر خليل والمدوّنة و الرّسالة و التفسير و المرادي "، ذكره السخاوي في الضوء اللاّمع : كان متقدّمًا في حفظ المتون و فقهها ، علّق شيئا على المختصر و لم ينتشر و إنتفع به الطلبة، أخذ عنه الفاضل أحمد زرّوق و قال : «إنّه مات آخر ذي القعدة عام إثنين و سبعين»[1].

– محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي الفاسي [2]:

قاضي الجماعة بها ، و سلفه من أهل الصلاح و الخير فيها، كان من أكابر الفقهاء المشاركين في العلوم، لكن غلب عليه الفروع و إقتصر على حفظ المسائل و تقدّم في علم الوثائق و إشتهر بها، تقلّد خطة القضاء بفاس و سلك سيرة قضاة العدل .

قال عنه إبن الخطيب في الإحاطة :" ... له أبوّة صالحة و أصالة زاكية....صدر من الصدور في الوثيقة و الأدب ... مديد الباع في الأدب شاعر مجيد، كاتب بليغ ، علم من أعلام المشيخة ، قدمه السلطان العالم أبو عنان لقضاء حضرته إختصّه و إشتمل عليه فعرف حقه ، و تردّد للأندلس سفيرًا فذاع فضله و علم قدره" [3].

و يذكر إبن الخطيب القسنطيني بأنّ شيخه توفي سنة 779 هـ ، و كان قد أخذ عن القبّاب[4].

---

(1) السخاوي ، المصدر السابق ، ج8 ، ص 280 .

(2) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 106.

(3) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج2 ، ص 187.

(4) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص ص 106- 107.

– أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشريف الحسني السبتي ثم الغرناطي [1]:

القاضي أبو جعفر و أبو العباس الشيخ الفقيه العالم الأبرع إبن الإمام العلامة أبي القاسم الشريف، شارح المقصورة ، أخذ عن شيخ الشيوخ أبي سعيد فرج بن لب و غيره ، و أخذ عنه الإمام أبو يحيى بن عاصم شارح التحفة، و له أخ عالم فقيه يسمى محمّدًا ويُكنى أبَا المعالي ، قال صاحب الكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة من العلماء و الزهاد : "لقيت هذين الشيخين و أجازاني ، أولهما و أكبرهما ذكره الوزير إبن الخطيب في شعراء الكتيبة الكامنة ، و ذكر له قصيدة لزومية. نقل عنه صاحب المعيار".

ب– العلوم اللسانية و الإجتماعية :

– أبو عبد الله القشتالي :

هو محمد بن أحمد بن عبد الملك ، أبو عبد الله القشتالي ، قاضي فاس ، المتوفي سنة 777هـ/1375م . من العلماء بفقه المالكية و الأدب و أحد الكتاب البلغاء في عصره ، و هو الذي خاطبه لسان الدّين بن الخطيب بأبيات ، أوّلها : «من ذا يعدّ فضائل القشتالي» ، ولاّه سلطان المغرب قضاء فاس سنة 756هـ ، و كان له تأليف يعرف "بواثق القشتالي" علّق عليه الونشريسي في كتاب سمّاه : "غنية المعاصر"[2].

– أحمد بن محمد بن علي التجيبي السبتي أبو العباس الشهير بإبن القراق :

قال عنه أبو عبد الله الحضرمي : «شيخنا الفقيه الحاج الكاتب الأديب الحافظ الصدر، كان أحد وجوه الأدباء القدماء، كثير النظم في النبويات و غيرها ، كتب عن أمراء الأندلس و المغرب ، و إستظهر بالقاهرة موطأ الإمام مالك حفظا من صدره عن ظهر قلب ، فاحتفل له

(1) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 111.

(2) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج2 ، ص 133.

شيوخ المالكية و ضربوا الطبول و الأبواق على رأسه إشادة وتنويها ، توفي أوائل رمضان بفاس عام 725هـ»[1].

– أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الأشقر الفاسي [2]:

فقيه من أهلها، كاتب بارع، أديب شاعر، مشارك في علوم، صدر من الصدور، قرأ على الأستاذ إبن آجروم و على جماعة ، كان ينشئ و يجيد و يشارك الفقيه الصدر أبي علي بن تادرارت كتابه الكتب الملوكية و أشباهها ، كان وقورًا ، ديّن سليم الصدر ، ذاكر بالتأريخ و أيام الناس ، كتب هو و ولده عبد العزيز ، و لم يزل معدودًا في جملة الكتّاب إلى أن توفي بفاس.

– عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي ثمّ الفاسي[3]:

قال عنه أبو زكرياء السراج في فهرسته: «شيخنا الفقيه الخطيب البليغ النحوي اللغوي الرّاوية المتفنّن الناظم الناثر الصدر الأوحد رئيس الكتاب أبو القاسم إبن الفقيه الوزير الجليل الماجد الأصل الفاضل، كان متفنّنا في معارف شتى عارف بعقد الشروط آخذًا بحظ وافر من الرواية، شاعرًا مجيدًا كاتبا بليغًا، حسن الخط...محبّا لأهل الدّين معظما لهم و لمن ينتسب للصوفية...».

أخذ عن والده و خاله إبن الحاكم إبن القاضي أبي القاسم بن ربيع والفقيه العالم قاضي مالقة أحمد بن عبد الحق الجدلي، و الإمام الولي أبي عبد الله الطنجالي، والقاضي أبو بكر بن منظور، و القاضي إبن بكر سمع عليه مسند البزار، و غيرها من التآليف.

ولد عام 718هـ و له تأليف حسن في السياسة السلطانية و توفي و لم يذكر تاريخ وفاته .

---

(1) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1، ص 86.

(2) ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 375.

(3) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج1، ص ص 26-237.

– عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي [1]:

الشيخ الصالح الإمام النحوي أبو زيد الفاسي، ألّف شرحًا مختصرًا على الألفية إعتنى به الطلبة كثيرًا، و آخر كبيرًا لم يتم أتلفه الحسدة إلاّ أوائله على ما قيل.

نقل عنه إبن غازي و غيره و له شرح الجرمية و نظم المعرب من الألفاظ والمقصورة في مدحه صلى الله عليه و سلم على سنن مقصورة إبن دريد نحو ثلاثمائة بيت .

توفي سنة 807هـ ، و أخذ عنه إبن مرزوق الحفيد ، و أثنى عليه بالعلم و الصلاح والفضل [2].

– عبد العزيز بن عبد الواحد اللّمطي الفاسي[3]:

نزيل طيبة المشرفة الإمام العالم العلامة المتفنّن الفصيح الناظم الناثر، له عدّة منظومات في فنون وقف على كثير منها في الأصلين و الفرائض و التصوّف و البيان والمنطق و الجدل و غيرها.

قرأ بفاس على أبي العباس الزقاق ، و كان آية في التوسع في العلوم و التفنن فيها، بعث لأخيه شيخنا عثمان اللمطي منظومة له فيها نيف و عشرون فنًّا ، و نظمه حلو رشيق.

– يحيى بن أبي يعزى [4]:

قال عنه الشيوخ زرّوق في كناشته: «كان قاضيا بالمدينة البيضاء بفاس، يدرس النحو عارفًا بعلوم الأدب و التنجيم و نحوها ، توفي آخر تسع و ثمانمائة».

وقال عنه الونشريسي في وفياته : «سنة إحدى و تسعين توفي الفقيه القاضي بالدار البيضاء الكريم الشمائل أبو زكرياء بن أبي حامد حفيد ولي الله أبي يعزى»[5].

---

(1) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1، ص 272.

(2) التنبكتي ، نفسه ، ج1 ، ص ص 272- 273.

(3) التنبكتي ، نفسه ، ج1 ، ص 304 .

(4) التنبكتي ، نفسه ، ج2 ، ص 340 .

(2) أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي ، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب ، تحقيق محمد حجي ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1981 ، ص 397 .

– عبد الواحد بن أحمد بن يحي بن علي الونشريسي [1]:

قاضيها و مفتيها، قال عنه الشيخ المنجور في فهرسته: «شيخنا الفقيه المحقق المفتي الموثق النحوي الأديب الخطيب الفصيح الناظم الناثر أبو محمد ، ولد بفاس بعد الثمانين وثمانمائة ، أخذ عن أبيه أبي العباس، و الشيخ إبن غازي و الأستاذين الحبّاك والهبطي والفقيه أبي زكرياء السوسي ختم عليه الألفية أزيد من عشر مرّات، و إبن هارون وغيرهم. كان رائق الخطّ فائق الإنشاء و الشعر، متقدّمًا في الوثائق و المكاتبات بأبدع كلام بلا تكلف...».

له نظم كثير في مسائل كشهادة السماع و مفتيات البيع الفاسد و ما يفتيه حوالة السُّوق و مواضع الإقالة في البيع و غيرها، جمعها أبو زيد الكلالي ، و له نظم قواعد أبيه إيضاح المسالك نظما مستوفيا و زادها قواعد بأمثلتها و صورًا و مُثلاً إنتزعها من مختصر إبن عرفة. توفي مقتولاً في ذي الحجة سنة 955هـ عن نحو سبعين سنة.

– عمر بن عثمان الونشريسي المكناسي أبو حفص [2]:

قال عنه إبن الخطيب في نفاضة الجراب : «كان فقيها مدرّسًا أستاذًا في فن العربية ، حضرت مذاكرته في مسألة أعوزت عليه ، و طال سؤاله عنها و هي قول الشاعر:

و النَّاسُ أَكْيَسُ مِنْ أَنْ يَمْدَحُوا رَجُلاً مَـا لَمْ يَرَوا عِنْدَهُ آثَـارَ إِحْسَان

توفي بفاس عام 816هـ .

ج– العلوم العقلية :

– ابن البنّاء (654–721هـ/1256–1321م) :

عالم مراكشي متفنّن في علوم جمّة ، برز بصفة خاصة في الرياضيات، و الفلك والتنجيم و العلوم الخفية ، و كذلك في الطّب .

هو أحمد بن محمّد بن عثمان الأزدي المعروف بأبي العبّاس بن البنّاء المراكشي كان أبوه البنّاء، ولد في مراكش عام 654هـ/1256م و قضى أغلب فترات حياته بها وهذا هو السبب في إنتسابه لها و بها درس النحو و الحديث و الفقه ، ثم ذهب إلى فاس ودرس الطب

(1) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1، ص ص 322- 323.

(2) التنبكتي ، نفسه ، ج1، ص 339.

و الفلك و الرياضيات ، كان من أساتذته إبن مخلوف السجلماسي الفلكي و إبن حجلة الرياضي ، حظي إبن البنّاء بتقدير ملوك الدولة المرينية في المغرب الذين إستقدموه إلى فاس مرارًا ، و توفى في مدينة مراكش عام 721هـ/1321م[1] .

ألّف إبن البنّاء أكثر من سبعين كتابًا في الحساب ، و الهندسة و الجبر ، و الفلك والتنجيم ، ضاع أغلبها و لم يبقَ إلاّ القليل منها ، و أشهرها:

* كتاب تلخيص أعمال الحساب
* مقالات في الحساب
* كتاب الجبر و المقابلة.

– عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن إبن يوسف بن محمد بن عطية المديوني[2]:

ثمّ الجاديري و به إشتهر، الفاسي الشيخ الفقيه العالم الموقت الإمام، ولد سنة ست أو سبع و سبعين و سبعمائة و إستوطن فاس ، و كان بها عدلاً مبرزًا، و لي التوقيت بجامع القرويين منها و كان متفنّنا مقرئًا نحويًا .

قرأ بالسبع على إبن عمر، و على أبي عمر عثمان الوزروالي ، و أبي عبد الله الفخّار و أبي عبد الله القيسي و روى عن الترجالي و برهان الدين بن صديق و أبي الحسن إبن الإمام البخاري و غيرهم[3] .

له تآليف منها: روضة الأزهار في علم وقت الليل و النهار، و إقتطاف الأنوار ذكر فيه مسائلها نثرًا كالشرح لها، و مختصر الاقتطاف المذكور و كتاب جمع فيه بين العمل بآلة الإسطرلاب و بالصفيحة الشكارية و بربع الدائرة و العمل بالحساب و الجدول في اثنين و أربعين بابًا ، و تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام ، و شرح رجز أبي مقرع ، و مختصر شرح الخاقانية للداني ، و رجز سماء النافع في أصل حرف نافع ، وشرح رجز شيخه القيسي في الضبط ، و شرح الدرر اللّوامع ، و له أيضا المذكر والمؤنث و غيرها، توفي بعد أربعين و ثمانمائة و دفن في داخل باب الفتوح . من شيوخه أبو زيد المكودي روى عنه مقصورته و غيرها.

---

(1) ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 343.

(2) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1، ص ص 277-278.

(3) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج1 ، ص 277 .

– عمر بن محمد الرجراجي أبو علي الفاسي [1]:

إمام في الفرائض و الحساب ، قال عنه إبن الخطيب القسنطيني : « كان من أولياء الله تعالى و صدور العلماء و شهرته بالصلاح أكثر من شهرته بالعلم ، لازمته و قرأت عليه الحوفية في الفرائض ، و حضرت معه مجالس العلم كمجلس الحافظ الفقيه القباب في الحديث و الفقه و الكلام، و مجلس الفقيه العالم الصالح مفتي فاس الوانغيلي الضرير وهو قارئ مجلسهو إنتفعت به كثيرًا، و إذا قصدته فيما عسر عليّ فهمه أجلسني مع السارية وجلس هو بين يدي كأنّه السائل لتواضعه و إخفائه» تولّى الخطابة بجامع الأندلس بفاس. و توفي سنة 810هـ.

– موسى بن علي الأغصاوي أبو عمران بن العقدة :

الفقيه الفرضي الحسابي ، ذكر بعضهم أنّه أوّل من أدخل شامل بِهرام لفاس ، توفي في السادس من رمضان سنة إحدى عشرة و سبعمائة، ذكره الونشريسي في وفياته ووصفه بالفقيه الفرضي[2].

– أبو العباس أحمد بن شعيب [3]:

أحد فضلاء وقته و نبلاء زمانه، فقيه مشارك تعاليمي، طبيب، أديب و نباتي و طبقة في قرض الشعر، و إمام في التعاليم ، له معرفة كبيرة بالأشجار و النبات، بارع الخط يحسن الكتابة و لذلك إستخدمه السلطان أبو الحسن المريني في ديوان الكتابة.

(1) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج1، ص ص 339- 341.
(2) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج2، ص 303.
(3) ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 375.

المبحث الثاني : الأوضاع الثقافية في الدولة النصرية

1- المؤسسات الثقافية

كانت المراكز الثقافية و دور التعليم المهمة محصورة داخل التجمعات الكبرى ، في المدن الرئيسية كغرناطة و ألميرية و وادي آش ، و كان التعليم الابتدائي في المدن و القرى في مداس صغيرة ، حيث يتعلم التلاميذ القراءة و الكتابة و الخط ، ثم حفظ القرآن الكريم ، و كان التلاميذ يحفظون قواعد اللغة العربية مما يساعد على مواجهة العلوم المتقدمة ، و يؤكد ابن خلدون أنه لم يوجد في المغرب معلما يمكنه تدريس كتاب سيبويه بالكفاءة نفسها التي يتمتع بها الأندلسيون[1] .

1.1 – المساجد :

– مسجد قصر الحمراء :

مسجد قصر الحمراء هو آخر مسجد استولى عليه النصارى في الأندلس وكان ذلك يوم تسليم أبي عبد الله الصغير لغرناطة للطاغية فرديناند و زوجته إيزابيلا في يوم نكسة للمسلمين . و على أنقاضه قامت اليوم كنيسة سانتا ماريا صاحبة الحمراء (Santa maria de Alhambra) و قد شاء الله عز و جلّ ألا نرى هذا المسجد و لو في ثياب الشرك المذلة فقد أقدم النصارى على تدمير المسجد تدميرا كاملا و أقاموا فوقه كنيسة تفننوا – على عادتهم – في تجهيزها و زخرفتها و نحث التصاوير فيها[2] .

لم يُحفظ من المسجد سوى مصبّاحٌ موضوع اليوم بمتحف مدريد الوطني ، يقول مؤرخ الأندلس المعاصر محمد عبد الله عنان رحمه الله واصفا هذا المسجد : " وكان مسجد الحمراء يقع في وسط الهضبة ، جنوبي الروضة ، في نفس المكان الذي تحتله اليوم كنيسة سانتا ماريا، وقد أمر بإنشائه السلطان محمد المخلوع، المعروف بمحمد الثالث ملك غرناطة (سنة 1302م-1309م) ، أنشأه على أبدع طراز ، و زوده بالعمد و الزخارف و الثريات الفخمة و كان على صغر مساحته ، من أفخم مساجد غرناطة"[3] .

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت 2007 ، ص 437 .

(2) يوسف شكري فرحات ، المرجع السابق ، ص 134 .

(3) محمد عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال ، دراسة تاريخية أثرية ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1997 ، ص 171 .

و من أشهر المدرسين في هذا الجامع أبو بكر بن جزي[1] .

– مسجد البيازين :

حول المسجدان الكبيران اللذين كانا في حي البيازين إلى كنيستين ، فبنيت كنيسة سان سالفادور على أنقاض المسجد الجامع ، وما زالت في مؤخرتها بقية من أسوار الجامع ، و جزء من صحنه ، و بنيت كنيسة سان خوسيه على أنقاض مسجد المرابطين ، الذي كان من أقدم مساجد المرابطين و ما زالت منارة المسجد قائمة حيث حولت إلى برج لأجراس الكنيسة .

هناك مسجد ثالث في حي البيازين هو مسجد التتائبين و قد حول إلى كنيسة سان خوان دي لوس ريس ، و هي لا زالت تحتفظ بمنارة الجامع كما كانت ، و هذه المنارة من عصر الموحدين ، مربعة الشكل على طراز منارة المنصور بإشبيلية (لاخيرالدا)[2] .

2.1– المـــدارس :

تأخر ظهور المدرسة بالأندلس إلى منتصف القرن الثامن الهجري ، و لا يعلم سبب ذلك على وجه التدقيق ، إلا أن بعض المؤرخين يرجعه إلى الظروف الصعبة التي عاشها مسلموا الأندلس خلال القرن السابع الهجري ، حيث سقطت معظم المدن الأندلسية في يد المسيحيين ، فانحصر المسلمون في مملكة غرناطة بالجنوب الأندلسي[3] .

– المـــدرسة اليوسفية :

بنيت هذه المدرسة بغرناطة على يد السلطان يوسف الأول سنة 750 هـــ/1349 م ، و سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها ، كما عرفت بالمدرسة العلمية و النصرية ، بدأت مركزا للعلوم الدينية و اللسانية ثم أصبحت تهتم بأنواع العلوم المختلفة المعروفة آنذاك ، و قصدها الطلاب من المناطق النصرية المختلفة[4]، و قد نالت شهرة واسعة جعلت طلاب و علماء

---

(1) المقري ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 525 .

(2) عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص ص 168-169 .

(3) عاشور بوشامة ، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب و الأندلس (626-971 هـــ / 1228-1572 م) ، مذكرة ماجستير ، جامعة القاهرة 1991 ، ص 438.

(4) حامد الشافعي دياب ، الكتب و المكتبات في الأندلس ، ط 1 ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة 1998 ، ص 32 . عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص 172 .

المغرب يفدون إليها ، و من علماء المغرب الذين درسوا فيها ابن مرزوق الخطيب و الكاتب عبد القادر بن سوار المغربي و غيرهما[1] .

كان المتفوقون من الطلاب يحصلون على إجازة خطية يمنحون بموجبها حق تدريس مادة معينة أو كتاب معين ، اهتمت المدرسة بتعليم القران الكريم و العلوم الدينية خاصة المذهب المالكي ، كما اهتمت بتعليم اللغة و الأدب ، فاعتمد على كتاب سيبويه و كتاب الأغاني للأصفهاني و آثار الجاحظ و مقامات الهمذاني و الحريري ، و أقبلوا على تدريس الشعر فكان ديوان الحماسة و ديوان المتنبي و سقط الزند للمعري من الكتب المفضلة[2].

ما زال موقع مدرسة غرناطة القديمة قائما في الدرب الضيق المحاذي لشارع الملكين الكاثوليكيين ، لكن بناءها القديم أزيل منذ أوائل القرن الثامن عشر ، و أقيم مكانه بناء جديد و لم يبق من الجزء القديم سوى جناح المحراب ، و قد نزعت لوحات و نقوش عربية كثيرة و نقلت إلى المتاحف حيث يحتفظ متحف غرناطة الأثري على أجزاء منها[3] .

3.1- المكتبات :

ارتبط ظهور المكتبات في الأندلس ارتباطا وثيقا بحركة الإنتاج الفكري بها من حيث الكثرة و التنوع ، و ارتبطت هذه الحركة بدورها ارتباطا وثيقا بالحياة العقلية و الفكرية في البلاد ، فالمكتبات على أنواعها زادها الأساسي المؤلفات و المصنفات ، فهي الوعاء الذي يحوي هذه المؤلفات[4] .

عرفت الأندلس أربعة أنواع من المكتبات هي :

- مكتبات المساجد و الجوامع :

يعتبر هذا النوع من المكتبات أول الأنواع نشوءا في الإسلام ، فقد جرت العادة أن يضع بعض وجهاء القوم مجموعة من نسخ القرآن الكريم و عددا من الكتب الدينية ، لفائدة المطالعين من رواد المسجد ، يمكن القول أن مكتبة المسجد ظهرت منذ أن اتخذ المسلمون

---

(1) عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص 439 . يوسف شكري فرحات ، المرجع السابق ، ص 134 .

(2) يوسف شكري فرحات ، المرجع السابق ، ص 135 .

(3) عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص 172 .

(4) حامد الشافعي دياب ، المرجع السابق ، ص 97 .

المسجد مكانا للدراسة ، و من تم كانت المكتبات إحدى طرق المسلمين لنشر العلم و الدين ، فكان هذا النوع منتشرا في جميع الأماكن[1] .

من أشهر مكتبات المساجد في الأندلس مكتبة جامع قرطبة و مكتبة جامع طليطلة ، و كان لحلقات الدرس التي كانت تعقد في جامع طليطلة شهرتها الواسعة التي جذبت الطلاب من كل مكان ، و احتفظت طليطلة بهذه المكانة حتى بعد سقوطها في يد الإسبان سنة 1085م ، حيث وجد فيها المسيحيون مكتبة عامرة بالكتب في أحد مساجدها ، و قد بلغت شهرة هذه المكتبة أقصى البلاد الأندلسية في الشمال [2] .

– المكتبات الخاصة :

يقصد بها المكتبات التي تخص أفراد معينين ، أنشأوها على نفقتهم الخاصة و لأغراضهم الشخصية ، فقد تربى الأندلسيون على حب الكتب و جمعها و إنشاء مكتبات خاصة بهم للتباهي بها ، كما ساعد على نمو هذه الظاهرة و انتشارها في الأندلس انتشار الورق و انخفاض سعر الكتب نتيجة لانخفاض سعر المواد المستعملة في ذلك و انخفاض أجور النسخ و التجليد[3] .

بالإضافة إلى الأجواء السياسية و الثقافية السائدة ، فقد كانت المدن الأندلسية تعيش تطورا حضاريا كبيرا مثل قرطبة ، علاوة عل تشجيع الحكام للعلم و العلماء ، حيث كان الملوك أنفسهم يهتمون بجمع الكتب[4] .

– المكتبات العامة :

تدل كثرة المكتبات العامة و ما تحتويه من مؤلفات في مختلف العلوم ، على مدى ازدهار الحركة الفكرية في البلاد ، و قد حظي الأندلس و المغرب الأقصى خلال حكم الموحدين بالكثير من المكتبات العامة التي ظلت موجودة إلى نهاية الدولة النصرية[5] .

---

(1) حامد الشافعي دياب ، المرجع نفسه ، ص 100 .

(2) عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص 456 . عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص 180 .

(3) محمد ماهر حمادة ، الكتب و المكتبات في الأندلس ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، ع 6 ، الرياض 1982 ، ص 86 .

(4) حامد الشافعي دياب ، المرجع السابق ، ص 103 .

(5) عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 239 .

- المكتبات الأكاديمية :

يقصد بها المكتبات المخصصة للبحث و الدراسة لطلاب الدراسات العليا و الأساتذة و العلماء ، و قد ظهر هذا النوع من المكتبات من أوائل القرن الثاني الهجري ، حيث كان المسجد المكان الأول للتعليم ، و لما اكتظت المساجد بطلاب العلم و تنوعت مجالات التعليم ، أنشأت المدارس و ألحقت بها المكتبات .

من أهم هذه المكتبات مكتبة الإسكوريال فهي أضخم مكتبة تضم مجموعة كبيرة من الكتب في مختلف العلوم ، و قد جلبت هذه الكتب عن طريق الإستيلاء على المكتبات الأندلسية بعد سقوط الأندلس و تحتوي مجموعات المكتبة على ستين ألف مجلد[1] .

2- أصـــناف العـــلوم :

1- العـــلوم النقلية :

لقد أولى سلاطين بني نصر اهتماما كبيرا بالجانب الفكري و الثقافي ، فقربوا العلماء من مجالسهم و أولوهم عناية خاصة لتشجيعهم على نشر العلم و الدين ، كما كانت لهم الحرية المطلقة في التنقل داخل الأندلس أو خارجها ، فتنوعت على عهدهم العلوم وازدهرت ، و توافد طلاب العلم من كل صوب وحدب على غرناطة وغيرها من مدن الدولة النصرية للإجازة و التحصيل ، وكان اهتمام علماء بني نصر بمختلف العلوم النقلية والعقلية .

أ- العلوم الدينية :

و من أعلامها :

- فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي الأندلسي الغرناطي :

إمامها و مفتيها و عالمها الإمام المشهور [2] ، من أهل الخير و الطهارة و الذكاء و الديانة و حسن الخلق ، رأس بنفسه و حلي بذاته ، و إليه مدار الفتوى ببلده لغزارة حفظه و قيامه على الفقه و اضطلاعه على المسائل ، أقرأ بالمدرسة النصرية يوم الثامن عشر رجب عام

---

(1) عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص 432 .

(2) ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1996 . ، ص 422 .

654 هـ، معظما عند الخاصة و العامة ، قعد للتدريس ببلده و ولي خطابة الجامع ، قرأ على أبي الحسن القيجاطي ، و العربية على ابن الفخار[1] .

قرأ على أبي جعفر بن الزيات و قاضي الجماعة المحدث أبي عبد الله بن بكر ، سمع عليه البخاري و تفقه عليه ، و قرأ عليه المقترح و بعضا من الإرشاد و التهذيب ، و أجازه ناصر الدين المشدالي و ابن عبد الرفيع و الأصولي المحدث أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن حماد اللبيدي ، ولد سنة 701 هـ و توفي سنة 782 هـ[2] .

– محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج بن أحمد بن حريث الغافقي :

أبو القاسم ، يعرف بالملاحي[3] ، كان محدثا راوية أديبا مؤرخا فاضلا ، كان من أفضل الناس و أحسنهم عشرة و ألينهم كلمة و أكثرهم خلقا ، أخذ عن أبي بكر بن طلحة بن عطية و عبد المنعم بن عبد الرحيم ، و أبي الحسن بن كوثر ، و أبي بكر بن أبي زمنين و غيرهم .

كان كثير الرواية من أهل الضبط و التقييد و الإتقان ، بارع الخط ، أديبا ذاكرا للتاريخ ، ولد سنة 549 هـ و توفي في شعبان سنة 619 هـ[4] .

– محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي الأنصاري الشاطبي :

الفقيه القاضي ، له علم محكم و عقد صحيح مبرم رحل للشرق و حج ، كان عالما بالعربية و أصول الفقه مشاركا في أصول الدين كشرح الجزولية ، و كان أبوه قاضيا و بيتهم بيت علم و قضاء و توارث[5] .

– محمد بن فتح بن علي الأنصاري :

قاض الجماعة أبو بكر ، كان طرفا في الدهاء والتخلق و المعرفة بمقاطع الحقوق و مغابن الريـــبة و علل الشهادات ، فذا في الجلالة والصرامة مقدما ، بصير بالأمور ، خرج من إشبيلية

---

(1) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 4 .
(2) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 5
(3) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 25 .
(4) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج 3 ، ص 176.
(5) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 31 .

عندما تغلب الروم عليها ، فولي قضاء مالقة و بسطة ثم غرناطة ، توفي في ربيع الأول عام 698 هـ[1]

– محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم الأنصاري المالقي :

شيخنا الفقيه الجليل الخطيب البليغ العابد ، توفي في مالقة يوم الجمعة من شهر شوال عام 735 هـ عن سبع وثمانين سنة ، وحضر جنازته العام و الخاص ، وكان رجلا كبيرا من الشيوخ المحققين و الأولياء المجتهدين ، له تآليف و شعر كثير ، ذكر ولده العلامة الجليل في كتابه بغية السالك ترجمة مليحة ، وذكر أنه ألف في مناقبه النفحة القدسية في الأخبار الساحلية[2].

– محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأوسي البلنسي :

أبو عبد الله ، من علماء غرناطة يعرف بالبلنسي ، قائما على العربية و البيان ، لازم شيخ الجماعة ابن الفخار و انتفع به ، له تفسير كبير على القرآن و تأليف في مبهماته و هو من فضلاء جنسه[3] و لد يوم الاثنين خامس عشر ذي الحجة عام 724 هـ ، توفي يوم السبت خامس ربيع الأول عام 782 هـ .

– أحمد بن سعد بن محمد بن أحمد القرشي :

من أهل حصن أندرش ، من عمل ألميرية ، أبو جعفر ، و يعرف بالعكري ، قرأ بألميرية على الأستاذ أبي الحسن بن أبي العيش ، و قرأ بأندرش على القاضي القاسم بن أحمد بن جابر ، و تفقه به و ناب بها عنه، و أخذ عن الأستاذ أبي عبد الله محمد بن محمد الأموي ، و رحل إلى المشرق سنة 717 هـ ، و قصد الشام و بقي بها حتى توفي سنة 751 هـ[4].

– أحمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري :

ولد سنة 635 هـ ، من أهل غرناطة ، أبو جعفر و يعرف بالكحيلي ، قرأ القرآن بالقراءات السبع على أبي الوليد بن إسماعيل بن العطار ، و على أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن مسقون ، و على أبي جعفر القزاز و على الأستاذ أبي جعفر بن الطباع ، و أحمد بن محمد بن

---

(1) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 35 .

(2) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 42 .

(3) التنبكتي ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 117 .

(3) ابن قنفذ القسنطيني ، الوفيات ، ص 354 .

خديجة ، و أجاز له الأستاذ علي بن محمد الغافقي الشارى ، و أبو يحي عبد الرحمن بن عبد المنعم ، بن الفرس ، و أبو الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السكوني ، و قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى بن عياض اليحصبي و غيرهم .

كان من أهل الفضل ، غير أنه لم يكن عنده علم كبير ، ولي قضاء القلعة ثم قضاء رندة ثم برجة ، ثم بسطة ثم قضاء ألميرية . توفي سنة 672 هـ[1] .

– أحمد بن عتيق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف بن خيرون الأزدي :

من أهل غرناطة و يعرف بالشاطبي ، كان موثقا و متمرنا في أحكام القضاء ، و حفظ النوازل ، فقيها جليلا ، و كان حافظا للآداب ، ذاكرا لكثير من التاريخ ، أديبا شاعرا ، ولي قضاء برجة و طال مقامه بها .

أخذ عن الأستاذ أبي جعفر بن الطباع القراءات السبع ، و قرأ العربية على أبي الحسن علي بن الصائغ ، تفقه عليه في كتاب الجمل إلى باب الصلاة ، و أخذ عن أبي جعفر بن الزبير ، و أبي علي بن أبي الأحوص، و أبي عبد الله بن رشيد ، و أبي الحكم مالك بن المرحل ، وأبي عبد الله بن محمد بن عمر بن الدراج ، و من شعره قصيدة يمدح فيها أحد الخلفاء النصريين :

هُنَ الحُمَاةُ عَبَرْنَ بَحْرًا أَخْضَرًا فَقَطَعْنَ ثَمَرَ الهَامِ وَ هِيَ يَوَانِعٌ

وَ أَثَرْنَ لِلأَعدَاءِ نَقعًا سَاطِعًا مِن مَوجِهَا و النَقعُ سُمٌّ نَاقِعُ

وَ سَبَحنَ يَسحَبنَ الذُيُولَ جَوَارِبًا هُنَّ الجَوَارِي لِلجَوَازِ وَ مَوَاقِعُ

توفي في برجة يوم الخميس السادس و العشرين من شهر ربيع الأول سنة 743 هـ[2]

– إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن التنوخي :

يعرف بابن العاصي الخطيب ن أصله من طريف ، من أعيانها ، انتقل إلى سبتة فأقام بها مدة عند تغلب الروم عليها ، لقي مشيختها و أخذ عنهم ، ثم تحول إلى حضرة غرناطة و انتظم في لمة كتاب الدولة النصرية ، ثم نزع عن ذلك ، و عكف عل طلب العلم ، و مال إلى العبادة ، و تحلى بحلية التقوى ، إلى أن قدم للخطبة و الإمامة بجامع غرناطة سنة 716 هـ.

توفي في غرناطة عصر يوم السبت السابع محرم سنة 726 هـ[3] .

---

(1) ابن القاضي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 135 -136 .

(2) ابن القاضي ، المصدر نفسه ، ج1 ، ص ص 137-138 .

(3) ابن القاضي ، المصدر نفسه ، ج1 ، ص ص 180-181 .

مكتبة العلوم الاجتماعية والإنسانية

– إسحاق بن إبراهيم بن عمر بن علي بن عبد الوهاب الأنصاري :

من أهل غرناطة و أصله من جيان ، قرأ على أبي جعفر بن خديجة و أبي الحسن الأبدي، و أبي عبد الله بن مسمعون ، و أبي العباس بن فرتون، توفي في رمضان سنة 690 هـ[1] .

– خالص بن أبي بكر بن أبي علي بن محمد بن علي الأنصاري :

من أهل قرية واسجة أهم قرى حصن مرشانة من عمل ألميرية أبو الصفاء و يعرف بأبي مرينة ، كان رجلا صالحا ، من أهل الخير و الدين ، تقيا فاضلا ، له حظ من الطلب و عناية بتلاوة القرآن ، مقصود المترل ، يغشاه الصادر و الوارد ، فيتلقاهم بسعة صدره ، و كان يلي الصلاة و الخطبة بجامع واسجة ، و بيتهم بيت علم و خير و دين .

قرأ القراءات السبع بألميرية على الأستاذ أبي جعفر بن عبد النور المالقي ، و عليه تأدب ، و أجاز له و كان يسفر المصاحب و الكتب تسفيرا حسنا ، يقصده الطلبة لذلك ، و كتب بخطه كثيرا . توفي بقرية واسجة يوم السبت الحادي و العشرين جمادى الثانية سنة 736 هـ[2] .

ب– العلوم اللسانية :

و من أعلامها :

– محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني :

الغرناطي ، قرطبي الأصل ، أبو عبد الله لسان الدين و يعرف بابن الخطيب ، الإمام الأوحد الفذ صاحب الفنون المنوعة و التآليف العجيبة ، ذو الوزارتين[3] ، ولد يوم 25 رجب سنة 713 هـ في مدينة "لوشة" غرب غرناطة ، وبها نشأ ودرس مختلف العلوم كالأدب واللغة والفقه والطب على يد كبار علمائها. فاستفاد من مختلف تلك التخصصات ، فتوفرت له معرفة واسعة. بعد وفاة والده سنة 741 هـ ، تولى الكتابة في ديوان الإنشاء خلفا له، كما تولى الوزارة سنة 749 هـ خلفا لأبي الحسن بن الجياب ، وكان وزيرا للسلطان "أبي الحجاج يوسف". و استمر ابن الخطيب في الوزارة بعد مقتل أبي الحجاج سنة 755هـ ، وقيام ابنه محمد الغني بالله خلفا له .

---

(1) ابن القاضي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 209-210 .

(2) ابن القاضي ، المصدر نفسه ، ج1 ، ص ص 264 .

(3) التنبكتي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 104 .

لما ضعفت بلاد الأندلس وتكالبت عليها جيوش ملك قشتالة، سافر إلى أبي عنان فارس السلطان المريني للاستنجاد به لمقاومة الزحف القشتالي، ونجح لسان الدين في مهمته، فرفعت رتبته وقيمته فلقب بذي الوزارتين: الكتابة والوزارة. لما خلع الغني بالله سنة 760هـ ، فر إلى فاس لاحقا بالسلطان المخلوع ، ولما تمكن من العودة إلى الحكم، استدعاه من فاس، ورده إلى الوزارة، وأعاد تلقيبه بذي الوزارتين ، فعظم نفوذه .

ومن مؤلفاته:

"**الإحاطة في أخبار غرناطة**" و"**اللمحة البدرية في الدولة النصرية**"، و"تاريخ ملوك غرناطة" إلى سنة 765 هـ"، و" **رقم الحلل في نظم الدول** "، و"**معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**"، و"**الحلل المرقومة في اللمع المنظومة**"؛ وهي أرجوزة من ألف بيت في أصول الفقه ، و كتاب "**عمل مَنْ طَبّ لمن حَبّ**" في الطب. ألفه لسلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن المريني . و على اسمه صنف المؤرخ أحمد بن محمد المقري (ت 1041/هـ) كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"[1].

من أجمل أشعاره بعض الموشحات الأندلسية :

جَادَكَ الغَيثُ إِذَا الغَيثُ هَمَى ... يَا زَمَانَ الوَصْلِ بِالأَندَلُس

لَم يَكُن وَصلُكَ إِلاَّ حُلُمَا ... فِي الكَرَى أَو خِلْسَةَ المُختَلِس

إِذْ يَقُودُ الدَهْرُ أَشْتَاتَ المُنَى ... يَنْقُلُ الخُطوَ عَلَى مَا يُرْسَم

زُمَراً بَينَ فُرَادَى وَ ثُنَا ... مِثْلَمَا يَدْعُو الوُفُودَ المَوْسِم

و الحَيَا قَد جَلَّلَ الرَوض سَنَا ... فَثُغُورُ الزَهْرِ مِنْهُ تَبَسَم

و رَوَى النُعْمَانُ عَن مَاءِ السَمَا ... كَيفَ يَرْوِي مَالِكٌ عَن أَنَس

فَكَسَاهُ الحُسْنُ ثَوْباً مُعَلِماً ... يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبهَى مَلْبَس[2]

– عبد الرحمن ابن خلدون :

ولد ابن خلدون بتونس عام سبعمائة واثنين وثلاثين هجرية ، منتميا لأسرة يمتد نسبها إلى الصحابي الجليل وائل بن حجر ، ومن حفدة وائل بن حجر دخل خالد بن عثمان إلى

(1) أنخيل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (دت) ، ص 252-253 .

(2) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 253 .

الأندلس مع الفاتحين من العرب ، و اشتهر خالد باسم خلدون تبجيلا وتعظيما مثل قولهم في الأندلس حمدون وزيدون ، حيث أسس بيت الأسرة الخلدونية في إشبيلية فكان لهذه الأسرة شأن خطير في التاريخ الإسلامي بالأندلس. ولما تقلص الحكم الإسلامي في الأندلس هاجرت الأسرة الخلدونية إلى المغرب ، فكان لها في المغرب رسوخ قدم في الرياستين السياسية و العلمية. ويرى أحد الباحثين أن ابن خلدون الطفل كان تجسيدا حيا لتاريخ الأسرة الخلدونية فقد أراد أن يجمع بين السيف والقلم ، ومن هنا كان حبه الطاغي لمختلف علوم عصره ، لعل العلم يحمله إلى قصور الأمراء والسلاطين ويقربه إلى آفاق الأسر الحاكمة [1].

قرأ القرآن الكريم على يد عبد الله محمد بن سعد بن برال ، وكان إماما للقراءات ، ودرس العربية على يد أبيه و على يد ابن عبد الله محمد بن العربي وأبي عبد الله بن الشواش الزرزالي ، و أخذ الفقه عن أبي عبد الله بن محمد الجياني. كما أخذ العلوم العقلية عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي[2].

و ساعده على سعة مداركه وتنمية أرائه في الحياة أسفاره الكثيرة ، متنقلا بين مدن الأندلس ، و إفريقية و المغرب و تلمسان و مصر و الحجاز و الشام.

درس أيضا في جامع الزيتونة للعلوم الشرعية ، والعلوم الإنسانية والفلسفة والمنطق، على أيدي أشهر علماء وأدباء ذلك العصر. وكان بالإضافة إلى ذلك شاعرا مجيدا.

إن الشيء الذي يحسب لابن خلدون هو هذه الموهبة الفذة التي جعلت منه أحد أشهر أعلام التاريخ وعلم الاجتماع من خلفية علمية أخذت عليه لأنها مكونة في الأساس من القرآن الكريم ومن التراث العربي ، في حين أنتجت فيما بعد فيلسوفا وعالما ومؤرخا يؤمن بجدوى النظر والملاحظة والمقارنة واستخلاص النتائج من ذات الأشياء وهذه كلها سمات الاتجاه التجريبي في التفكير، الأمر الذي دفع به إلى أن يعي بعبقرية مدهشة كل نتائج التجارب الإنسانية التي عاشها وكان هو نفسه أحد عوامل التأثير فيها [3] .

لقد عاش ابن خلدون في عصره كل شيء فيه يشير إلى أن شمس الحضارة العربية الإسلامية آخذة في الأفول ، فالقرن الثامن الهجري كان بحق قرن التراجعات والكوارث في العالم

---

(1) محمد بن أحمد بن شقرون ، المرجع السابق ، ص 120 .

(2) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 254 .

(3) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع نفسه ، ص 256 .

الإسلامي ، فمن هجمات التتار شرقا ، إلى تقلص حكم العرب في الأندلس غربا، إلى ضعف الأسر الحاكمة وتنافسها ودخولها مع بعضها في مؤامرات وحروب لا غاية لها ولا نهاية، إلى الطاعون الجارف الذي خلف الخراب والدمار، إلى التزمت الفكري وانتشار الفكر الخرافي .. كل ذلك خلق أوضاعا مرتبكة تسودها الفوضى ، من كل جانب ، الذي عاينه وعانى منه ابن خلدون نفسه معاينة ومعاناة لم يتمالك معها من إعلان يأسه من إمكانية اجتياز الأزمة بسلام.

لقد عاش ابن خلدون مفكرا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، قريبا من نهاية العصر الوسيط الذي شهد أهم الانقلابات التي شملت النظام السياسي والنسق الفكري معا. فكانت أوروبا في ظل هذا القرن تتأثر بتيار تجريبي حاول أن يمضي في الطريق الذي رسمه (روجر بيكون) وهو فيلسوف انجليزي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي ويعد الرائد الأول للتيار التجريبي في أوروبا[1].

كما كانت أوروبا تتأثر بتيار ثان متأثر بالرشدية اللاتينية الوافدة من الثقافة العربية ، وتيار ثالث يحاول في صعوبة التوفيق بين العلم والدين المسيحي تبعا للاصطلاحات التي كانت شائعة في العصور الوسطى المسيحية والتي تفرق بين مفهوم وطبيعة الدين في العالم المسيحي.

إلا أن العالم العربي الإسلامي في ذلك الحين كان مقطوع الصلة بالعالم الأوروبي بعد أن اصطدم به اصطداما عنيفا دموياً خلال الحروب الصليبية الطويلة.

وكان المغرب العربي على وجه الخصوص بعد انقراض دولة الموحدين تحت سيطرة ثلاث أسر حاكمة هي المرينية في المغرب الأقصى ، والأسرة الحفصية في المغرب الأدنى الذي يضم تونس و إقليم بجاية و إقليم قسنطينة ، بينما في المغرب الأوسط كانت تعيش أسرة بني عبد الواد في صراع مستمر مع الأسرتين الكبيرتين[2] .

في هذا العصر الحائر بين الأزمات، والذي يسير نحو التفكك والانهيار، كان على ابن خلدون أن يعيش بآماله الكبار واستعداده العبقري للخلق والابتكار.

كان لوباء الطاعون الكاسح في بلاد المغرب في منتصف المائة الثامنة للهجرة والذي قضى على أبويه ومعظم أساتذته وكبار الشخصيات في عصره ، أثرا كبيرا على مفكرنا العظيم ، فصار

---

(1) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 254 .

(2) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع نفسه ، ص 255 .

لزاما عليه أن يضاعف همته بغية التزود بالدروس من رموز العلم آنذاك في معركة مفتوحة مع الواقع لكتابة هذه المأساة حتى لا تضيع من غمر الزمن واستمر في هذه الدروس ثلاث سنوات بعد الكارثة ، بعد أن سيطر أبو عنان المريني على المغرب كله قربه منه وفي بلاطه اتصل بالأساتذة من أهل المغرب ومن أهل الأندلس الوافدين للسفارة فجمع بين علم أساتذة البلاط وخبرة أهل البادية.

لكنه أودع السجن بعد أن اتصل بأحد أمراء (بجاية) المخلوعين بتهمة مساعدة هذا الأمير على استعادة حكمه السابق وظل سجينا لمدة عامين كاملين إلى أن مات السلطان أبو عنان ، فأطلق السلطان الجديد سراحه[1].

بعد حوالي تسع سنوات قضاها في البلاط المغربي وصل ابن خلدون إلى الأندلس عام 764هـ و أقام في ضيافة السلطان أبي عبد الله محمد ثالث ملوك بني الأحمر و باني مسجد الحمراء العظيم في غرناطة.

وكان قد قدم له ابن خلدون خدمات جليلة حينما لجأ إلى فاس تحت حكم السلطان أبي سالم. و قد أكرمه السلطان أبو عبد الله وأرسله سفيرا عنه إلى ملك قشتالة وهناك رأى آثار أجداده بإشبيلية حيث وقف على مجد الأسرة السياسي [2].

بعد عودته للأندلس و نجاحه في مهمة السفارة السياسية أكرمه السلطان وعاش خبيرا في شؤون البلاط، إلا أن أهل الدسائس و المؤامرات أوغلوا صدر الوزير عليه فأحس ابن خلدون بالخطر فقرر أن يتجنب الدخول في معركة مفتوحة مع صديقه وأثر العودة إلى بجاية التي أصبحت في حكم صديقه وحليفه السلطان أبي عبدالله ليتولى أعلى منصب سياسي في عصره ، و هو منصب الحجابة لسلطان بجاية ، و هو يعني الوساطة بين السلطان وأهل دولته[3].

و استمر في هذا المنصب حتى أوجس خيفة منه ، فطلب ابن خلدون الإذن بالرحيل إلى مكان آخر فأذن له.

استقر رأي ابن خلدون على خوض غمار الكتابة والتأليف والاستفادة من التجارب الإنسانية

---

(1) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 257 .

(2) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع نفسه ، ص 259 .

(3) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع نفسه ، ص 260 .

التي عاصرها وشاهدها ليدفع بالمجتمع البشري إلى طريق التقدم والرقي. واغتنم ابن خلدون تكليفه بمهمة السفارة بين السلطان وقبائل البدو ليغير مساره، حلقة هذه المرة إلى أحياء أولاد عريف حيث أقام هو و أسرته بمكان يطلق عليه (قلعة ابن سلامة) وسط قبائل جليلة الخطر تعصمه من أهواء الحكام و نزعات السلاطين .

أقام ابن خلدون بهذه القلعة أربعة أعوام متخليا عن الشواغل كلها ، وشرع في كتابة مؤلفه الفريد العبر، و قد أخذ في ترتيبه على أساس مقدمة وثلاثة كتب ، بحيث تختص المقدمة بعرض المنهج الذي يراه عاصما من الزلل والخطأ ، ويختص الكتاب الأول بتفسير طبائع العمران البشري والعلاقات التي تربط بين الظواهر ربطا علميا. أما الكتاب الثاني فهو لتاريخ العرب وأجيالهم ودولتهم، والكتاب الثالث لأخبار البربر ومواليهم من زناته[1].

وعندما أتم ذلك أعد نسخة رفعها إلى خزانة السلطان أبي العباس فكانت تلك هي أول نسخة تعد لكتاب (العبر) كما وصفها ابن خلدون حصيلة من الخبرة و الدراسة ، وتعرف هذه النسخة بالنسخة التونسية.

عندما زحفت جيوش التتار بقيادة تيمورلنك على بلاد الشام واستيلائه على مدينة حلب و ما لحقها من الخراب و التدمير ، زحف بجيشه نحو دمشق وكانت آنذاك تابعة لسلطان المماليك في مصر، فأراد ابن الملك الظاهر برقوق ، سلطان مصر التصدي لجيوش التتار ، فخرج لقتاله وصحب معه ابن خلدون وبعض الفقهاء ، ولكن ظروف سياسية اضطرت السلطان المصري إلى العودة تاركا الموقف تحت رحمة القائد التتري الجبار[2].

وإزاء ذلك اجتمع الفقهاء والقضاة والأعيان في المدرسة العادلية ، وكان معهم ابن خلدون واستقر رأيهم على طلب الأمان من تيمور لنك وصيانة حرماتهم وممتلكاتهم. وهنا طلب ابن خلدون الإذن بالذهاب للقاء تيمورلنك لإقناعه بفك الحصار عن دمشق[3] .

قال ابن خلدون يروي قصة هذ اللقاء التاريخي مع تيمورلنك: لما وقفت بالباب خارج، طلبت الإذن بالجلوس في خيمة هناك، تجاور خيمة جلوسه، ثم زيد في التعرف باسمي إني القاضي المالكي المغربي فاستدعاني ودخلت عليه بخيمة جلوسه، وكان متكئاً على مرفقه وصحاف

(1) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 257 .

(2) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع نفسه ، ص 258 .

(3) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع نفسه ، ص 256 .

الطعام تمر بين يديه، فلما دخلت فاتحت بالسلام و أوميت إيماءة الخضوع ورفع رأسه ومد يده إليّ فقبلتها، وأشار علي بالجلوس فجلست حيث انتهيت ثم استدعى من بطانته الفقيه عبد الجبار بن النعمان من فقهاء الحنفية بخوارزم ، فأقعده يترجم بيننا[1].

ويروي أيضا أنه عندما التقى الاثنان على مائدة العشاء ظل القائد التتري يطيل النظر والتأمل في شخصية العالم المغربي الذي أشار زيه الغريب إلى اختلافه عن العلماء المصريين ، و في نفس الوقت كان ابن خلدون الذي خبر النفوس البشرية يحدق هو الآخر في وجه القائد التتري لعله يسبر غوره وينجح في التعامل معه ، وما أن بدأ الحديث حتى قص ابن خلدون على القائد التتري تاريخ التتار حتى وصل بالحديث إلى البلاد الجديدة التي أتى إليها القائد التتري غازيا[2] .

أعجب تيمورلنك بابن خلدون و أراد أن يستفيد بعلم المؤرخ العربي ، فطلب منه البقاء للعمل معه ، لكن الشيخ المجرب كعادته اعتذر بلباقته المعروفة متعللا بحاجته إلى مكتبته وكتبه التي لا غنى له عنها و استأذن في العودة فأعاده القائد معززا مخفورا بالحرس اللازم ، و لم يصدق معاصروه أنه نجا بحياته من ذلك الجبار التتري.

ظل ابن خلدون في الخمس سنوات الأخيرة من عمره في صراع وظيفي حول كرسي القضاء ، فقد أقيل من منصبه أكثر من مرة حتى عاد إلى القضاء للمرة السادسة و الأخيرة و ذلك في شعبان 808 هـ، ومكث أياما قلائل انتقل بعدها فجأة إلى الرفيق الأعلى ، كان ذلك يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان ، وكان عمره يقارب السادسة والسبعين عاما[3].

– أبو محمد العبدري :

من أهل بلنسية ، طاف بنواحي المغرب و الأندلس سنة 676 هـ ، و سجل مشاهداته في كتابه الرحلة المغربية ، كان يسكن في بلدة حاحا بالمغرب الأقصى ، أقام مدة من الزمن في قرية تقع على الطريق بين بسكرة و توزر بالمغرب الأوسط ، و كان من العلماء ، بل

(1) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 260 .

(2) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع نفسه ، ص 259 .

(3) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع نفسه ، ص 261 .

إن المقروءات التي قرأها و المسموعات التي سمعها من الشيوخ ، تدل على علو كعبه في العلم و الأدب ، كان واسع المحفوظ ، يقول الشعر[1] .

عزم العبدري على الرحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، فسافر رفقة ابنه في الخامس و العشرين من ذي القعدة سنة 668 هـ ، و قد سجل كل ما رآه في ذهابه و إيابه ، و قد مر بكثير من المدن في المغرب الأقصى و المغرب الأوسط و الأدنى ، و مصر ، و الحجاز ، و بعد أداء فريضة الحج عرج على فلسطين و زار بعض مدنها ، و أقام بها مدة من الزمن .

سمع العبدري في أثناء رحلته من نفر من العلماء منهم في تونس عبد الله بن هارون الطائي ، كما تسلم فيه الخرقة من الشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف الأندلسي و سمع في القيروان من أبي زيد عبد الرحمن بن الأسدي ، و غيرهم ، توفي سنة 725 هـ .و يبدوا أنه قضى جانبا كبيرا من حياته في المغرب الأقصى ، حتى عرف بالحيحي ، نسبة إلى حاحا التي تبعد عن مدينة الصويرة ستين كيلومترا ، و قبره معروف فيها ، و يطلق عليه اسم سيدي أبو البركات[2] .

2- العـــلوم العقلية :

من أشهر علمائها :

- علي بن محمد بن محمد بن علي البسطي الشهير بالقلصادي :

أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي المعروف بالقلصادي .عالم رياضي اشتهر في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، ولد في بسطة من الأندلس عام 825 هـ . وإليها نسب بالبسطي[3] .

عاش القلصادي في مسقط رأسه ودرس كغيره من طلبة العلم، وأخذ عن كبار علماء بسطة، ثم انتقل بعد أن شذا طرفا من العلوم إلى غرناطة فاستوطنها وطلب العلم فيها. نبغ القلصادي في علم الحساب ، كما درس الفقه على علماء غرناطة فأصبح فقيها من فقهاء

---

(1) محمد العبدري البلنسي ، الرحلة المغربية ، تحقيق سعد بوفلاقة ، ط1 ، مؤسسة بونة للبحوث و الدراسات ، عنابة 2007 ، ص ص 7-8 .

(2) الزركلي ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 32 .

(3) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 461 .

المالكية. وقد كان يطلب العمل أينما يحل ، حتى إنه عندما قصد الحج كان يتوقف في المدن في طريقه لتلقي العلم عن علماء المدينة التي يترل فيها كي تتوسع مداركه .

بعد أن أدى القلصادي مناسك الحج عاد إلى غرناطة فعاش فيها ردحا من الزمن ، وذلك في الفترة التي كانت فيها الاضطرابات على أشدها لمحاولة النصارى الاستيلاء على آخر معاقل المسلمين بالأندلس، ثم غادر غرناطة إلى شمال إفريقية حيث توفي في باحة بتونس قبل ست سنوات من سقوط غرناطة [1] .

برز القلصادي في علم الرياضيات كأول من استخدم الرموز والإشارات الجبرية التي نعرفها في تاريخنا المعاصر. ولقد شرح القلصادي عمل ابن البناء في الحساب وأضاف إليه عدة إضافات هامة خاصة في نظرية الكسور، وقد يكون القلصادي هو أول من رسم الكسور. كما شرح بدقة متناهية طريقة إيجاد الجذور لأي عدد[2] .

ترك القلصادي عددا من المؤلفات الهامة جلها في الرياضيات و الفقه و الفرائض من أهمها كتاب كشف الأسرار عن علم الغبار وهو أشهر كتبه ، وكتاب شرح الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة ، وكتاب بغية المبتدي وغنية المنتهي ، وكتاب كشف الجلباب عن علم الحساب، ورسالة في قانون الحساب ، وكتاب شرح أيساغوجي في المنطق ، و رسالة في معاني الكسور ، وكتاب شرح تلخيص ابن البناء في الحساب ، وكتاب تبصرة المبتدي بالقلم الهندسي ، وكتاب التبصرة الواضحة في مسائل الأعداد اللائحة ، و كتاب قانون الحساب[3] .

---

(1) أبي الحسن علي القلصادي ، رحلة القلصادي ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس 1978، ص 30 .

(2) القلصادي ، المصدر السابق ، ص 32 .

(3) أنخيل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص 458 .

الفصل الثالث

الفصل الثالث : العلاقات الثقافية بين الدولتين

المبحث الأول: العوامل المتحكمة في العلاقات

1- الجهاد في الأندلس

2- الرحلة

3 – حرية تنقل العلماء بين الدولتين

المبحث الثاني: مظاهر العلاقات

1- المجالس السلطانية

2- الرسائل السلطانية

المبحث الأول : العوامل المتحكمة في العلاقات

1- الجهاد في الأندلس :

كان المرينيون يؤمنون بمسؤوليتهم في الإتحاد مع إخوانهم في الأندلس لمحاربة النصارى ، و لذلك لم تكد تمضي سبعة أشهر عن استكمال بني مرين تأسيس دولتهم باستيلائهم على سجلماسة سنة 673 هـ/1274م[1] ، حتى استجابوا للنداء الذي وجهه لهم السلطان محمد الفقيه ابن الأحمر لمعاونته في صد زحف النصارى نحو ما تبقى من أملاك المسلمين في الأندلس[2] ، و الحقيقة أن بني نصر لم يجدوا أمامهم من القوى الإسلامية غير بني مرين لمعاونتهم ، لذلك لم يحرصوا عل إيجاد علاقات متينة مع سائر أقاليم البلاد الإسلامية ، لانشغال الأمراء المسلمين بتوطيد أركان دولهم و صد الزحف المغولي ، فاتجهت أنظارهم نحو بني مرين لقربهم الجغرافي منهم ، و من جهة أخرى للمكانة القوية التي كانت تتمتع بها الدولة المرينية بين سائر دول المغرب الإسلامي[2] .

و قد تبين للمرينيين عند نزولهم إلى الأندلس أن الخلافات الشخصية بين بني نصر و بني أشقيلولة (حكام مالقة و وادي آش و قمارش) ستؤدي إلى إضعاف الجهاد المريني في الأندلس، و اتضح ذلك جليا خلال المجلس الذي ضم السلطان أبا يوسف يعقوب المريني و السلطان محمد الفقيه و أبا محمد بن أشقيلولة ، و قد أدت هذه الخلافات إلى حدوث وحشة بين السلطان أبي يوسف يعقوب و ابن الأحمر ، انسحب على إثرها ابن الأحمر عائدا إلى غرناطة[3] ، و نتيجة لذلك خاض أبو يوسف يعقوب معركته الأولى في الأندلس معتمدا على قواته التي قدمت معه من المغرب .

خلال العبور الثاني سنة 676 هـ/1277م حاول السلطان أبو يوسف يعقوب المريني إعادة العلاقات بينه و بين ابن الأحمر لمهاجمة قرطبة ، و قد أسفر هذا التقارب إلى قهر الجيوش

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 189 . ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 312 . الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 18

(2) الناصري ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص 37 . عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، مج7 ، مطابع فضالة ، المحمدية 1986 ، ص 72 .

(3) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 227 .

النصرانية و تراجعها لتتحصن بمدينة قرطبة و تطلب الصلح مع المسلمين[1] . و ليثبت أبو يوسف يعقوب حسن نواياه ترك لابن الأحمر إبرام معاهدة الصلح مع النصارى ، بل فعل أكثر من ذلك إذ تنازل عند عودته للمغرب عن جميع غنائم الجيش المريني في معركة قرطبة[2] ، لكن شكوك ابن الأحمر أقوى من أن تزيلها هذه الأشياء ، فما لبث أن توفي أبو محمد عبد الله بن أشقيلولة و تنازل ولده محمد لأبي يوسف عن مالقة و الغربية[3] ، حتى أدى ذلك إلى سوء العلاقات بين أبي يوسف و ابن الأحمر مرة ثانية ، فسعى ابن الأحمر إلى التحالف مع أعداء أبي يوسف في الأندلس و المغرب ، فتحالف مع القشتاليين و يغمراسن بن زيان ، و أغرى عامل مالقة بالخروج على طاعة أبي يوسف[4] ، لكن أبا يوسف نجح في إفشال مخططات ابن الأحمر ، بعد أن رأى القشتاليين يتجهون بأساطيلهم نحو الزقاق لمحاصرة المسلمين ، فعاون ابن الأحمر الأسطول المريني ، فأدى ذلك إلى تحطيم الأسطول القشتالي و دخول المرينيين الجزيرة الخضراء بالقوة[5] .

أسفر التقارب بين ابن الأحمر و أبي يوسف عقب الجواز الثالث إلى الأندلس عن تلاحم قوى المرينيين و النصريين خلال الجواز الرابع لأبي يوسف يعقوب المريني ، حيث نجح المرينيون في دحر النصارى خلف نهر الوادي الكبير ، كما أسفرت معارك الجواز الرابع عن توقيع صلح بين المسلمين و النصارى أقره كل من سلطان المغرب و الأندلس و ملك الإسبان[6] ، و نظرا للتفاهم الكبير بين بني مرين و بني نصر ، أسند السلطان ابن الأحمر قيادة الغزاة و المجاهدين المتطوعين من المغرب إلى موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، فكان أول من تولى هذا المنصب من قرابة بني مرين ، و قد لعب شيوخ الغزاة من بني مرين دورا في تاريخ العلاقات

---

(1) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص 565 . ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص 44 .

(2) الناصري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 40 .

(3) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص 565 . ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 196 .

(4) ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 197 . الناصري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 40 .

(5) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص 566 .

(6) ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 416 . ابن الخطيب ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق إ. ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار المكشوف ، بيروت 1956 ، ص 151 . عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، مج7 ، ص 73 .

بين بني مرين و بني نصر[1] ، و كانت غرناطة مقر القيادة العامة لهذه القوات و تتفرع منها عدة قيادات فرعية في مالقة و وادي آش و رندة[2] .

بعد وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة 685 هـ/1286م ، حاول السلطان الجديد لبني مرين يوسف بن يعقوب دفع حركة الجهاد المريني في الأندلس ، فاجتمع بالسلطان النصري في مربلة ، و اتفق الطرفان على أن يحتفظ المرينيون على أجزاء محدودة من الأندلس و هي الجزيرة الخضراء ، طريف ، رندة ، وادي آش و أحوازها[3] ، ورأى يوسف بن يعقوب نقل بني أشقيلولة إلى المغرب ، فأمر أبا الحسن بن أبي إسحاق بن أشقيلولة بتسليم وادي آش لابن الأحمر و عوضه عنها بعمالة القصر الكبير في المغرب الأقصى له و لبنيه من بعده[4] . و رغم هذه التنازلات الكبيرة للسلطان المريني ، فقد استجاب ابن الأحمر لنداءات سانشو ملك قشتالة ، و عقد معه تحالفا ضد بني مرين ، و أدى هذا التحالف إلى ضياع طريف و ستة من الحصون النصرية ، إذ رفض سانشو تسليم طريف لابن الأحمر بعد استيلائه عليها[5] .

أدرك محمد الفقيه سلطان غرناطة ، خطأ سياسته اتجاه بني مرين فعاد يطلب ودهم ، فلم يتردد المرينيون في عقد الصلح معه ، و استمرت العلاقات الودية بين الطرفين حتى وفاة السلطان محمد الفقيه سنة 701 هـ/1301م[6] .

شهدت الفترة التي لت هذه الأحداث فتورا في العلاقات بين المرينيين و بني نصر ، واستمر ذلك حتى اعتلاء أبي الحسن المريني العرش سنة 731 هـ/1330م ، حيث اقتصر العون المريني على بعض الأموال و الخيول في عهد السلطان أبي الربيع[7] . بينما توقفت

---

(1) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص 45 .

(2) الناصري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 42 .

(3) ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص ص 316-318 . المقري ، نفح الطيب ، ج 1 ، ص 452 .

(4) أحمد مختار العبادي ، فترة مضطربة في تاريخ غرناطة ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مج7-8 ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد 1959 – 1960 ، ص 48 .

(5) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص 42 . ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 210 .

(6) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص 565 .

(7) الناصري ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص 46 ، محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 230 .

العلاقات بين المرينيين و بني نصر في عهد أبي سعيد عثمان المريني ، الذي أصر على تسليم شيخ الغزاة في الأندلس عثمان بن أبي العلاء التي تسبب في المتاعب لسلاطين بني مرين[1] .

تغير الموقف المريني في عهد السلطان المريني أبي الحسن ، إذ لقيت دعوة بني نصر للمرينيين لتخفيف ضغط النصارى عنهم رغبة قوية في نفس السلطان أبي الحسن في للجهاد في الأندلس ، ونتج عن جهود أبي الحسن في الأندلس عن انتصارات ساحقة ، فاستولى المسلمون على جبل الفتح سنة 733 هـ/1333م[2] .

لكن أبا الحسن انهزم في طريف سنة 741هـ /1340م[3] ، و قد صرفت هذه الهزيمة أنظار المرينيين عن القيام بأي عمل عسكري في الأندلس ، خاصة أن الأوضاع الداخلية في المغرب لا تساعد على الجهاد .

2- الرحلة :

تعتبر الرحلة جسرا للتواصل مع الآخر ، سواء كان هذا الآخر ينتمي إلى الحضارة نفسها ، أم إلى حضارة مغايرة. فهي وثيقة تاريخية وأدبية تقوم على السرد و المشاهدة والمعاينة والوصف الدقيق لأحوال المجتمع الذي ارتحل إليه صاحب الرحلة ، وأحوالِ أهله وعلمائه، وتكشف عن طبيعة الوعي الإنساني بالآخر الذي تسعف في تشكيله الرحلة، فضلا عن كونها فهما لذات الآخر ومعرفته، لأن معرفة هذا الآخر هي جزء من معرفة الذات ، التي لا تكتمل إلا بفهم الآخر ومعرفته[4].

ويزخر التراث الإسلامي بنصوص متعددة في الرحلة ، التي سجل فيها أصحابُها مشاهداتهم في البلدان التي سافروا إليها ، وانطباعاتهم ومواقفهم حولها وحول عادات وتقاليد الشعوب المختلفة. وإذا كانت الرحلة في المجتمعات الإنسانية، ارتبطت بصفة عامة، بالاكتشاف والتنقيب عن عوالم أخرى خارج عالم المرتحل ، لما فيها من استكشاف معرفي مباشر لثقافات وعادات وتقاليد مختلفة ، فإنها ارتبطت في المجتمعات الإسلامية بمبدأ التعارف الشامل لكل معاني

---

(1) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 387 . ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 216 .

(2) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 228 .

(3) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص 53 .

(4) عواطف محمد يوسف نواب ، الرحلات المغربية و الأندلسية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض 1996 ، ص 72 .

المعرفة والعلم والتواصل ، انطلاقا من قوله تعالى مخاطبا الجماعات والمجتمعات :" **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا**" [1]. فالمرجعية الفكرية والثقافية للرحالة الذي ينتمي إلى حضارة الإسلام تذكره بوحدة الأصل الإنساني ، وتدعوه الى نسج علاقات إنسانية قائمة على قاعدة التعارف ، المؤدية إلى التواصل المعرفي والحضاري والإنساني.

فأفراد الحضارة الإسلامية سابقا بنوا علاقاتهم مع الحضارات الأخرى على أساس التعارف الذي يتضمن تجاوز الذات من أجل بناء الجسور والتواصل مع الآخرين ، سواء انتموا الى مجال اعتقادي واحد أو انتموا إلى مجال اعتقادي مختلف[2].

إن رحلات العلم و الحج من أبرز الرحلات التي تتجلى فيها سمات الانفتاح على الآخر ، والتعرف عليه ، وتبرز الرغبة في الاستفادة منه ، وتبادل الخبرات والتجارب معه في مجال حضاري مشترك، تتوحد فيه الأصول . لكن أهم الرحلات الإسلامية التي تبرز الرغبة في التعرف على الآخر ، و تكشف عن قيم الاختلاف والمغايرة ، بوصفها من أدوات الحوار و التواصل بين الشعوب و الثقافات ، هي الرحلات التي تعرف بالسفارية .

في إطار الحديث عن الرحلة المغربية ، نجد أن أنواعها تتعدد، لكن تجمعها هذه الرغبة في التعارف و التواصل مع الآخر ، ساعد على ذلك موقع المغرب الجغرافي في أقصى الجناح الغربي من العالم العربي و الإسلامي[3]. و كانت الرحلة من الكثرة والأهمية حتى اعتبر إثارها و انتساب الرجل إليها من الثوابت الأساسية التي تقوم عليها ترجمة الرجال في كتب طبقات الغرب الإسلامي. و أقدم رحلة لدينا هي رحلة أبي بكر بن العربي المعافري إلى المشرق التي تمت أواخر القرن الخامس للهجرة ، واختلطت فيها الدوافع من طلب العلم وأداء فريضة الحج و قضاء مهمة سفارية تخص دولة المرابطين في المغرب و الأندلس آنذاك[4] .

الرحلة فن من فنون الأدب العربي ، تخصص و برع فيها الرحالة المسلمون ، و خاصة المغاربة و الأندلسيون لكثرة دوافعهم في القيام بمثل هذا العمل ، و من أهمها :

---

(1) الآية رقم 12 من سورة الحجرات ، القرآن الكريم ، رواية ورش ، دار المصحف، بيروت 1975 .

(2) عواطف محمد يوسف نواب ، المرجع السابق ، ص 75 .

(3) عواطف محمد يوسف نواب ، المرجع نفسه ، ص 76 .

(4) عواطف محمد يوسف نواب ، المرجع نفسه ، ص 79

- أداء فريضة الحج

- طلب العلم من المراكز الأخرى في الدول الإسلامية كبغداد و القاهرة و دمشق و تلمسان و فاس و غيرها و التي أصبحت محط أنظار طلبة العلم ، من أجل لقاء العلماء و الاستفادة منهم[1] .

هذا النوع من الرحلات شاع في المغرب و المشرق على السواء ، و لم تلبث الرحلات أن تأصلت في المغاربة و الأندلسيين و أصبحت فنا قائما بذاته ، من حيث تدوينه بأسلوب مميز في سفر يشمل تاريخ الخروج و الوصول إلى كل مدينة ، مع إعطاء لمحة وافية عنها و إعطاء قائمة بأسماء مراحل السفر ، و بعد أداء فريضة الحج ينطلقون إلى مراكز العلم المختلفة المنتشرة في البلاد الإسلامية ، و من خلال هذه الرحلات نجد تسجيلات عن الحياة في تلك الأقاليم الإسلامية .

كان الرحالة الأندلسيون يستغلون فرصة أدائهم فريضة الحج ، للقاء العلماء و الأخذ عنهم و تسجيل أسماء شيوخهم و مروياتهم و أسانيدهم ، و ما أخذوه عنهم من كتب و إجازات ، من هؤلاء الرحالة على سبيل المثال ابن رشيد ، فقد حرص ابن رشيد على لقاء العلماء و الأخذ عنهم ، و قد سجل ذلك بأوضح صورة خاصة فيما يتعلق برواية الحديث ، بالإضافة إلى ترجمته للعديد من العلماء في البلدان التي زارها[2] .

هناك رحالة مغاربة و أندلسيون اعتنوا بالجانب العلمي ، و كتبوا برامجهم التي دلت على مكانتهم العلمية مثل ابن جابر الواد آشي ، إذ أن برنامج يغلب عليه جمع الأحاديث و الرواية و لقاء العلماء[3] .

تجول ابن جابر الواد آشي في معظم المراكز الإسلامية التي كانت معروفة في ذلك الوقت و التي كانت منارات للإشعاع الثقافي ، فأخذ عن علماء الإسكندرية ، القاهرة ، مكة ، المدينة و دمشق ، ثم عاد للتدريس بتونس ، و قد علا شأنه بما أخذه و جمعه في رحلته ، و لم يكتف

---

(1) صالح محمد فياض ، التبادل الفكري بين المغرب و الأندلس و شبه الجزيرة العربية ، ع2 ، السنة 12 ، مجلة الدارة ، 1987 ، ص 98 .

(2) ابن رشيد السبتي ، ملء العيبة بما جمع بطوال الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة و طيبة ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، ج5 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 ، ص 6 .

(3) عواطف محمد يوسف نواب ، المرجع السابق ، ص 76 .

مكتبة العلوم الاجتماعية والإنسانية ★ جامعة ★

بذلك بل رحل إلى المغرب و الأندلس ، حيث بلغ عدد شيوخه مائتين و تسع و سبعين شيخا[1] . و تمكن سنة 748 هـ /1347م من عقد المجالس العلمية ، فجمع فيها بين علماء تونس و المغرب و الأندلس و التي حفلت بالمناقشات و المناظرات العلمية[2] .

3 – حرية تنقل العلماء بين الدولتين :

إن العلماء و الأدباء في المغرب و الأندلس لم تكن أمامهم تلك الحواجز السياسية التي تمنع تدفقهم من المغرب إلى الأندلس أو العكس ، و لعل الازدهار العلمي و الأدبي الذي عرفته كبريات الحواضر الإسلامية في تلك الفترة و في مقدمتها فاس و غرناطة و سبتة و مالقة و ألمرية ، هو راجع إلى ما أولاه سلاطين بني مرين و بني نصر للعلم و الأدب من اهتمام، متجليا فيما عقد من مجالس علمية ، و ما أنفق عل العلماء و الطلبة ، و فيما شيد من مدارس و ما ألحق بها من خزائن الكتب[3] ، و الأمثلة كثيرة و متعددة نذكر منها الأديب الشاعر العالم الأندلسي الذي عاش مدة طويلة في البلاط المريني ابن الحاج الغرناطي ، الذي بلغ درجة عظيمة في جودة الخط و الأدب و رواية الحديث ، و قد عمل ضمن كتاب الإنشاء سنة 734 هـ/1333م ، في عد السلطان أبي الحسن المريني و في عهد خليفته أبي عنان فارس[4] ، و الشاعر أبو القاسم رضوان النجاري ، و هو من مالقة ، تولى وظيفة الإنشاء بباب السلطان أبي عنان ، و ألف كثيرا من قصائد الوصف[5] . و منهم أيضا الكاتب الأديب محمد بن أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، و هو غرناطي الأصل ، كان كاتبا للسلطان أبي الحجاج يوسف ثم رحل إلى فاس حيث عاش بها ، وكلفه السلطان أبو عنان بكتابة رحلة ابن بطوطة ، فجاءت كتابته لهذه الرحلة نموذجا فنيا رائعا لأدب الرحلات في تلك الفترة[6] .

---

(1) عواطف محمد يوسف نواب ، المرجع السابق ، ص 73 .

(2) عواطف محمد يوسف نواب ، المرجع نفسه ، ص 74 .

(3) محمد الشريف ، من مظاهر التواصل الحضاري بين المغرب المريني و غرناطة النصرية ، ندوة مثلث الأندلس ، قصبة الأوداية ، الرباط أكتوبر 2003 ، ص 96 .

(4) المقري ، نفح الطيب ، ج7 ، ص 108 . ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 109 .

(5) المقري ، نفح الطيب ، ج6 ، ص 106 .

(6) المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص 170 .

و من علماء الأندلس الذين حصلوا علومهم من فاس و نقلوا ما حصلوه من علوم إلى غرناطة ، أبو العباس أحمد بن قاسم بن البقال و أبو عبد الله بن البيوت المقري ، و الزاهد أبو الحسن بن أبي المولى و غيرهم ، هؤلاء نهلوا العلم من فاس على يد نخبة من علمائها[1] .

كانت الزيارات التي يقوم بها سفراء بني الأحمر إلى الدولة المرينية ، تمثل صلة تأثير و تأثر في مجال العلاقات الثقافية و الفكرية في كل من المغرب و الأندلس ، فهؤلاء السفراء كان معظمهم أدباء و علماء ، و كان وجودهم في البلاط المريني فرصة للاحتكاك الثقافي بين العدوتين ، فابن الخطيب عندما جاء سفير من غرناطة إلى السلطان أبي عنان تبادل الرسائل النثرية و القصائد الشعرية مع زملائه من الأدباء و الشعراء المرينيين ، و من ذلك ما دار بينه و بين ابن مرزوق الخطيب الذي بعث إلى ابن الخطيب رسالة من الشعر يقول في مطلعها[2] :

يَا قَادِماً وَافَى بِكُلِ نَجَاح أَبْشِر بِمَا تَلقَاهُ مِن أَفْرَاح

هَذِى ذَرَى مَلِكِ المُلُوكِ فَلُذ بِهَا تَـنَل الـمُنَى و تَفُز بِكُلِ سَمَاح

فرد عليه ابن الخطيب برسالة هذه بدايتها[3] :

رَاحَت تُذَكِرُنِي كُئُوسُ الرَّاحِ و القُرْبُ يَخْفِضُ لِلجُنُوحِ جَنَاح

و سَرَتْ تَدُلُّ عَلَى القَبُولِ كَأَنَّهَا دَلُ النَّسِيمِ عَلَى انبلاج صَبَاح

لقد أفسح حق اللجوء للدولة و حرية التنقل الذي منحه سلاطين بني مرين و سلاطين بني نصر لعلماء الدولتين مجالا كبيرا لازدهار العلاقات الثقافية بين الدولتين ، فابن الخطيب الذي أقام في الدولة المرينية ، أفاد الحركة العلمية و الأدبية في ذلك الوقت ، و على هذا فكل إنتاجه أثناء فترة لجوئه لدى بني مرين ، هو إنتاج مريني متأثر بالبيئة المرينية الجديدة التي عاش فيها ، حيث ابن الخطيب في ربوع الدولة المرينية كمية كبيرة من الشعر و النثر و العديد من المؤلفات[4] و هي :

- كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصرية
- كتاب نفاضة الجراب في علالة الإغتراب

---

(1) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج2 ، ص ص 287-288 .

(2) الناصري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 94 .

(3) الناصري ، المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 95 .

(4) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 237 .

- كتاب معيار الإختيار في ذكر المعاهد و الديار
- كتاب الحلل المرقومة في اللمع المنظومة
- كتاب رقم الحلل في نظم الدول
- كتاب كناسة الدكان بعد انتقال السكان

و قد لقي ابن مرزوق الخطيب في غرناطة نفس ما لقيه ابن الخطيب في دولة بني مرين ، فلجأ إلى سلطان غرناطة الذي قربه إليه ، و قلده الخطبة في مسجده سنة 753 هـ/1352م، و إلى جانب ذلك أسند إليه مهمة التدريس في بالمدرسة في حضرته بغرناطة[1] .

المبحث الثاني : مظاهر العلاقات

1- المجالس السلطانية :

كانت مجالس سلاطين بني مرين ندوات علمية رفيعة ، و كان دافعهم في عقد هذه المجالس شغفهم الكبير بالعلم ، و كانوا من أحسن الملوك سيرة و نباهة و كان فيهم الفقهاء الملازمون لمجالسة العلماء ، و لذالك استفحل ملكهم و طالت دولتهم و عظمت صولتهم فكانوا مقرا للعلوم و الأخبار و محل اجتماع دائرة العلم الذي عليه المدار[2] .

و قد عقد سلاطين بني مرين مجالس العلم للمناظرة و المحاضرة ، و مطارحة الأدباء و محاورة الشعراء[3] ، و كان الكثير من هؤلاء السلاطين محبا للعلم ، و منهم على سبيل المثال السلطان أبو عنان المريني الذي كان " فقيها يناظر فيه العلماء الجلة و كان عارفا بالمنطق و أصول الدين و له حظ صالح من العربية و الحساب و كان حافظا للقرآن عارفا بناسخه

(1) ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1996 . ص 120 .

(2) محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني ، سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس ، ج3 ، مطبعة حجر ، فاس 1316 هـ ، ص 168 .

(3) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 338 .

و منسوخه حافظا للحديث عارفا برجاله ، فصيح القلم كاتبا بليغا حسن التوقيع ، شاعرا مجيدا "[1] ومن نظمه :

إِذَا تَصَدَّرَ لِلرِيَّاسَةِ خَامِلٌ جَرَتِ الأُمُورُ عَلَى الطَرِيقِ الأَعْوَجِ

و قد عرف البلاط المريني في عهد السلطان أبي الحسن ، أعظم مجالس العلم التي عرفتها الدولة المرينية ، حيث ضم البلاط المريني حشدا من العلماء لا يحصى عددا ، و يكفي للدلالة على كثرتهم أن عدد من استشهد من علماء ذلك البلاط عند رحيل السلطان أبي الحسن من إفريقية – بسبب غرق الأسطول التي كان يقلهم – أربعمائة عالم ، ناهيك عن عدد العلماء الذين لم يركبوا ، و الذين كانوا في مواطن أخرى غير إفريقية في عهد أبي الحسن[2] .

لا شك أن كثرة المدارس التي أنشأها المرينيون ، كان لها أثر كبير في تخريج أجيال كثيرة من العلماء ، و إلى جانب هذه المدارس الرسمية التي كانت تشرف عليها الدولة ، كانت المساجد عامرة بالعلماء يدرسون العلم ، و يقصدهم الناس للشورى أو قراءة القرآن ، كما قصد هذه المساجد الصلحاء و الأولياء ، و قاموا بدورهم في تقديم الفتوى و العلم للناس على اختلاف مستوياتهم[3] .

كان السلطان أبو الحسن المريني من أبر سلاطين بني مرين بالعلماء و كان يحرص أشد الحرص على تتبع أخبار العلماء ، حتى إذا سمع عن عالم مشهود له بالرسوخ في العلم ، أرسل في استدعائه و ضمه إلى إلى خواص مجلسه ، و أجرى له الجرايات و النفقات التي تكفيه[4] .

من العلماء الذين ضمهم مجلس السلطان أبي الحسن الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي الذي كان إماما في القراءات[5] ، ابن مرزوق الخطيب الذي كان عالما في الفقه و الحديث[6] ، محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الذي اشتهر بالآبلي الذي كان أعلم أهل

(1) الكتاني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 225 .
(2) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 337 .
(3) الجزنائي ، المصدر السابق ، ص 83 .
(4) ابن مرزوق الخطيب ، المصدر السابق ، ص 141 .
(5) ابن مرزوق الخطيب ، المصدر نفسه ، ص 141 .
(6) الكتاني ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص 177 .

زمانه بالعلوم العقلية[1] ، و الفقيه النحوي أبو عبد الله الرندي ، و أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام و أخوه موسى ، و أبو عبد الله بن الصباغ المكناسي ، و أبو عبد الله بن الحفيد السلوي، و أبو عبد اله بن عبد السلام[2] .

كان السلطان أبو الحسن يختار من بين علماء مجلسه من يقرأ بين يديه أمهات الكتب و المؤلفات العربية ، خاصة كتب الفقه و الحديث ، فكان بن مرزوق الخطيب يقرأ بين يديه صحيح البخاري و صحيح مسلم و كتاب الشفاء ، و تهذيب ابن هشام ، و الحلية للحافظ أبي النعيم الأصفهاني ، و جملة من كتب الوعظ و الحديث ، و كتاب الموطأ و التهذيب لابن الحاجب[3] .

لقد شجع سلاطين بني مرين حركة التأليف و العلماء و أجزلوا لهم العطاء ، على مؤلفاتهم و اختراعاتهم تشجيعا لهم على مواصلة العمل ، حيث كان العلماء يعرضون على السلاطين إنتاجهم العلمي و الأدبي ، و كان السلاطين يقدمون لهؤلاء العلماء جوائز سخية ، و من أمثلة ذلك أن الفقيه أبا عبد الله بن أبي زكريا العزفي أهدى إلى السلطان أبي الحسن كتابا ألفه في ذم الخمر و عيوبها ، فاستحسنه السلطان و أمر أن يوضع الكتاب في كفة و الدراهم في الكفة الأخرى و أعطي أبو عبد الله العزفي الدراهم[4] ، كما أهدى أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن السبيل الثعالبي إسطرلابا للسلطان أبي الحسن المريني ، فأعطاه السلطان مثل وزنه دنانير من الذهب[5] .

2- الرسائل السلطانية :

إن أهم المراسلات والسفارات الدبلوماسية كانت بين كل من السلطان أبي الحجاج يوسف وابنه السلطان محمد الخامس الغني بالله من جهة ، وبين كل من السلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان من جهة أخرى ، لم تكن العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الأندلس

---

(1) ابن مرزوق الخطيب ، المصدر نفسه ، ص 334 .

(2) الكتاني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 374 . ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 215 .

(3) ابن مرزوق الخطيب ، المصدر السابق ، ص 43 .

(4) ابن مرزوق الخطيب ، المصدر نفسه ، ص ص 150-156 .

(5) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 339 .

و المغرب في عمومها ، تسير في اتجاه واحد ، وإنما كانت متباينة في طبيعتها عمقا واتساعا ، تتأرجح بين الصداقة والعداء ، وبين الولاء والتراجع .

يمكن أن نقول إن العلاقات التي سادت بين الأندلس والمغرب في الغالب خلال هذه الفترة ، امتازت بالكثافة وغلبة الصفاء ، بحكم أواصر الصداقة والجوار اللذين أصلتهما التقاليد السياسية والدبلوماسية العريقة المتوازنة عبر حقب زمنية متراكمة ، ساعدت على تعميقها كثير من العوامل والمؤثرات التاريخية والسياسية والدينية والجغرافية والثقافية بصفة عامة .

اقتصرت العلاقات في عهد السلطان أبي عنان على العلاقات الدبلوماسية التي انحصرت في تبادل الرسائل و السفارات ، و قد كتب أغلب هذه الرسائل الكاتب و الوزير لسان الدين ابن الخطيب ، و قد كان يكتب هذه الرسائل على لسان سلطانه[1] ، و ألف كتابا سماه كناسة الدكان بعد انتقال السكان ضم فيه أغلب الرسائل ، و هي في غالبها رسائل شكر للسلطان المريني أبي عنان على المساعدات التي قدمها لبني الأحمر أو رسائل رافقت هدايا سلطان بني الأحمر لبني مرين[2] ، و بعض هذه الرسائل كان للتهنئة بفتح تلمسان و بجاية أو الانتصار على بعض الثائرين ضد أبي عنان[3] ، و بعضها كان لشرح الأوضاع الداخلية لقشتالة و نشوب الحرب الأهلية فيها بين أبناء الأسرة الحاكمة ، أو لتحديد طبيعة العلاقة بين غرناطة و مملكة قشتالة[4] ، و من هذه الرسائل ما كان للشفاعة لدي أبي عنان للعفو عن بعض الشخصيات المغربية[5] ، و على سبيل المثال نذكر الرسالة التي بعثها ابن الأحمر لأبي عنان يطلب فيها العون للأسطول النصري لحماية السواحل الأندلسية ، جاء فيها : " قد كانت عادة والدكم – أزلفه الله إليه و جدد ملابس الرحمة و الرضوان عليه – أن يصدر عنه مكتوب بمقدار ذلك الإمداد ، و تعيين موضعه من سواحل البلاد و نحن نأمل أن تسلكوا ذلك العمل في سبيل الجهاد "[6] .

---

(1) المقري ، نفح الطيب ، ج 1 ، ص ص 506-512 . عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، مج7 ، ص 90 .

(2) ابن الخطيب ، كناسة الدكان ، ص ص 57-75 .

(3) ابن الخطيب ، كناسة الدكان ، ص 65 .

(4) ابن الخطيب ، كناسة الدكان ، ص 94 .

(5) من أمثلة ذلك شفاعة السلطان أبي الحجاج يوسف الأول في الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق و الشيخ محمد بن أبي بكر القرشي المقري ، قاضي الجماعة بفاس . المقري ، نفح الطيب ، ج 5، ص 209 .

(6) ابن الخطيب ، كناسة الدكان ، ص 98 .

كما تبادل البلاطان السفارات ، و من ذلك السفارة التي قام بها لسان الدين ابن الخطيب سنة 755 هـ/1354م ، سفيرا عن سلطانه الغني بالله إلى السلطان أبي عنان[1] ، و قد نجح ابن الخطيب في هذه السفارة نجاحا باهرا ، ففي الوقت الذي استقل فيه أبو عنان ابن الخطيب أنشد هذا الأخير أبياتا في مدح أبي عنان :

خَلِيفَة اللّه ساعد القدر علاك ما لاح في الدجى قمر

و دافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر

و جهك في النائبات بدر دجا لنا و في الـــمحل كفك المطر

اهتز أبو عنان لهذه الأبيات و ما كان منه إلا أن أعلن استجابته لكل المطالب ، و قال له قبل أن يجلس : " ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم "[2] ، و كان في مقدمة هذه المطالب العون الحربي لمواجهة أطماع القشتاليين[3] ، و من السفراء الذين وفدوا إلى البلاط المريني في عهد أبي عنان الشيخ الخليلي و قد دارت بينه وبين السلطان أبي عنان محاورة لطيفة ذكرها صاحب نفح الطيب[4] ، و من السفراء المغاربة الذين قاموا بالسفارة إلى بلاط بني الأحمر الشيخ محمد بن محمد بن أبي بكر القرشي المقري ، الذي أرسله أبو عنان في سفارة إلى غرناطة سنة 757 هـ/1357م[5] .

بعد وفاة أبي عنان قويت العلاقات بين المرينيين و بني نصر ، خاصة في عهد السلطان أبي سالم المريني ، الذي أعطى السلطان النصري الغني بالله و وزيره لسان الدين ابن الخطيب حق اللجوء السياسي في الدولة المرينية ، هذا بعد أن تعرض سلطان غرناطة لانقلاب أطاح به سنة 760 هـ/1358م[6] .

---

(1) الناصري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 94-98 . المقري ، نفح الطيب ، ج 5 ، ص 209 . ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج 2 ، ص 19 .

(2) الناصري ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص 94 .

(3) محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 233 .

(4) المقري ، نفح الطيب ، ج 1 ، ص 681 .

(5) ابن الخطيب ، كناسة الدكان ، ص 153 . المقري ، نفح الطيب ، ج 5 ، ص 208 .

(6) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص 108 .

خاتمة

إن الصلات بين المغرب الأقصى و الأندلس هي صلات قديمة فرضتها طبيعة الجوار ، و أملتها المعطيات الجغرافية ، فقد شكل مضيق جبل طارق حلقة وصل وثيقة بين العدوتين ، و قنطرة يتم من خلالها الانتقال البشري و انسياب الحركة التجارية و التبادل الثقافي بمختلف مظاهره .

لم تكن العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الأندلس والمغرب ، في عمومها تسير على وتيرة واحدة ، وإنما كانت متباينة في طبيعتها عمقا واتساعا ، تتأرجح بين الصداقة والعداء ، و بين الولاء والتراجع ، حسب ما تقتضيه المصلحة السياسية والمنفعة الظرفية . والذي يفسر هذا الاضطراب في المواقف ، وخاصة من قبل الأندلس ، تجاه حكام المغرب الأقصى ، الظروف السياسية الصعبة والحرجة المنذرة بالانهيار ، التي كانت تمر بها الأندلس ، آخر سرب من أسراب الأمة الإسلامية ، في هذه المنطقة ، ما بين عدو يريد استرداد كل شبر من الأراضي ، التي ضمها الفتح الإسلامي على امتداد السنين ، وصديق يريد إخضاع المنطقة تحت سيادته ، كما كان الأمر بالنسبة للمرابطين والموحدين في المغرب ، حينما أخضعوا الأندلس ، و أصبحت تحت تصرفهم .

يمكن وصف العلاقات بين المرينيين وبني الأحمر بأنها كانت علاقات يشوبها الحذر و الترقب ، و مرجع ذلك إلى تشكك سلاطين بني الأحمر كثيرا من نوايا بني مرين وتطلعاتهم في بلاد الأندلس ، ولذلك كان يغلب على هذه العلاقات التذبذب بين الود المتبادل أو العداء والنفرة في بعض الأحيان .

ورغم ذلك يمكن أن نقول إن العلاقات التي سادت بين الأندلس و المغرب في الغالب خلال هذه الفترة ، امتازت بالكثافة وغلبة المصافاة ، بحكم أواصر الصداقة والجوار اللذين أصّلتهما التقاليد السياسية و الدبلوماسية العريقة المتوازنة عبر حقب زمنية متراكمة ، ساعدت على تعميقها كثير من العوامل و المؤثرات التاريخية والسياسية والدينية والجغرافية والثقافية بصفة عامة .

وإذا كان هناك من قلاقل ، كما تؤكد القرائن التاريخية والسياسية المختلفة في المنطقة ، فمرده إلى ارتباط الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية بالدول التي قامت في المغرب ، مثل المرابطين و الموحدين وكان الداعي إلى ذلك ، إما الاستنجاد وطلب التدخل من تمرد الأندلسيين أنفسهم ، و إما التدخل القهري عنوة عندما يستدعي الضرورة من منطلق الإحساس بالالتزام والمسؤولية التي يبحث عليها وازع الدين والتاريخ والمصالح والمصير .

لذلك لم يكن من الغريب أن نجد دولة بني الأحمر تستنجد بالدولة المرينية ضد النصارى مباشرة بعد تأسيس هؤلاء دولتهم وتوطيد أركانها سنة 673 هـ ، كما تؤكد الوثائق السياسية والدبلوماسية ، لأنه لم يكن أمامهم غير هذه الدولة التي كانت أقوى دولة في المنطقة سياسيا وعسكريا . والحقيقة أن كثير من حكام الدولة المرينية لم يبخلوا بعونهم المادي والمعنوي، بل هناك من السلاطين من عبر البحر ليجاهد بنفسه على رأس حملته العسكرية إلى جانب إخوانه الأندلسيين ، مثل السلطان أبي يوسف بن يعقوب المريني (668-685هـ) الذي جاز إلى الأندلس أربع مرات من أجل المناصرة والجهاد ، وكذلك السلطان المشهور أبي الحسن المريني الذي بعث ابنه الأمير أبا مالك ليخوض حربا ضروسا هنالك ، وعبر هو نفسه رفقة خاصته وحاشيته أواخر سنة 740هـ وقاد الحرب هناك إلى جانب أهل الأندلس ، ومني بهزيمة طريف الشهيرة سنة 651 هـ ، التي كانت لها آثار سيئة على الأندلس والمغرب على السواء .

و بلغت عرى التقارب و التعاون إلى درجة أن المرينيين أنشئوا - بموافقة الأندلس - قاعدة عسكرية جهادية دائمة تدعى "مشيخة الغزاة" على أرض الأندلس ، قرب جبل الفتح (جبل طارق) ، تحت إمرة عسكريين من قوات السلطان المريني ، تمت إليه بصلة القرابة ، ولكن تكون في الحرب تحت إمرة القيادة العليا للجيش النصري .

وظلت هذه القاعدة تحافظ على حلقة الوصل السياسي والعسكري والدبلوماسي بين الدولتين ، إلى أن زالت بتأزم العلاقات بينهما ، في أواخر عهدها عندما ظهر الضعف ، وساد الفساد السياسي في كلا البلاطين .

أما على عهد السلطان أبي عنان بن أبي الحسن المريني ، فقد اقتصر التواصل على الوسائل الدبلوماسية المتمثلة في تبادل المراسلات وإرسال المراسلات السفارية .

ساهمت العديد من العوامل في ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في الدولتين المرينية و النصرية ، و من بين هذه العوامل :

1- اهتمام ملوك بني مرين و بني نصر بالعلم و العلماء و تقريبهم منهم ، دعمهم ماديا و معنويا ، حضور مجالسهم تشجيعًا لهم على الإبداع والتأليف ورعايتهم للآداب و الفنون و تقديرهم لأصحابها ، و اختيارهم للعلماء و الفقهاء الوافدين من حواضر المغرب الإسلامي لحضور المجالس السلطانية .

2-القرب الجغرافي بين الدولتين و التهديد المشترك من قبل النصارى في الأندلس ، ساهما كثيرا في توثيق العلاقة السياسية بين الدولتين و بالتالي توطيد الروابط الثقافية بينهما .

3-الرحلة في طلب العلم و دورها في تكوين العلماء و توسيع معارفهم و توطيد الرّوابط الثقافية و تواصلها بين الإقليمين ، حيث كانت الدولة المرينية منطقة عبور للأندلسيين نحو المشرق الإسلامي إما للحج أو طلب العلم ، و كذلك الحال بالنسبة للمغاربة المتوجهين إلى الأندلس لطلب العلم أو الجهاد .

4- دور المهاجرين الأندلسيين في إثراء الحياة الثقافية في بلاد المغرب بما نقلوه من علوم و فنون ، و يظهر ذالك جليا في العمارة المغربية التي تأثرت كثيرا بفن العمارة الأندلسية ، بالإضافة إلى هجرة العلماء والفقهاء و الأدباء إلى بلاد المغرب و عملهم في التدريس أو القضاء ، مما ساهم في نقل العديد من العلوم نحو الدولة المرينية .

5-دور المؤسسات الثقافية و التعليمية (المدارس ، المساجد ، الزوايا ، المكتبات و الكتاتيب) في نشر العلوم بمختلف أصنافها ، و إشراف السلاطين بأنفسهم على بنائها .

6- اهتمام الحواضر المغربية و الأندلسية الكبرى (فاس ، مراكش ، سلا ، قرطبة، غرناطة و غيرها) بالمجالات الثقافية و العلمية و تشييدها المؤسسات التعليمية المختلفة من أجل نشر العلم ، فقد كانت تلك المدن العريقة مراكز إشعاع ثقافي في المغرب الإسلامي.

لاشك أنه كانت لهذا التواصل الدبلوماسي آثار إيجابية على كلا الطرفين ، وإلا ما كان ليدوم ويستمر طوال السنين ، كما يشهد على ذلك التاريخ المستند إلى الوثائق والآثار التاريخية المتنوعة ، وكما تشهد كثافتها بين هذين القطرين دون باقي الأقطار المغاربية الأخرى على قرب المكان والزمان .

من الآثار التي كانت وراء هذا التواصل ما نجمله في النقاط التالية :

– استمرار البعثات السفارية والدبلوماسية ، المحملة بالمكاتبات والخطابات ، إلى درجة التضخم ، حيث لا نبالغ في التقدير إذا قلنا : إن هذه الفترة هي التي عرفت أغزر تواصل دبلوماسي على الإطلاق ، بالمقارنة مع الجهود السابقة ، حيث وصل معدل التواصل إلى اتصال

واحد كل شهر تقريبا ما بين مراسلة عادية وبعثة دبلوماسية عالية المستوى ، مع التنبيه على أن كتاب "ريحانة الكتاب " لم يجمع كل المراسلات التي كتبت كما سلف ، وهذا ما يؤكد على التأثير المتبادل بين القطرين ، والذي يستند على مقومات سياسية و اجتماعية و ثقافية و حضارية و استراتيجية قوية تمتع بها الطرفان .

– من الآثار أيضا تقريب وجهات النظر السياسية ، من الناحية الداخلية والخارجية ، فكان التعاون من كلا الجانبين على سيادة الاستقرار واستتباب الأمن بمراقبة تحركات اللاجئين السياسيين من ذوي القرابة في كلا البلدين ، وكذلك متابعة تنقلات الشخصيات ذات الوزن المؤثر في الوسط السياسي خشية التأليب و الثورة . وشمل التعاون على المستوى الخارجي تبادل الاستخبارات السياسية والعسكرية ، وإن كانت الأندلس هي صاحبة الحظ الأوفر في هذا الأمر بحكم القرب من موقع الصراع . وكان التجاوب من جهة المغرب من موقع الالتزام بالنصرة ، الذي تفرضه العقيدة المشتركة ، وكذلك من موقع الإيمان بأن الأندلس هي الحاجز الأمني ، الذي يحول دون النصارى لتحقيق طموحاتهم التوسعية المتنامية كما سيؤكد هذا التاريخ فيما بعد .

– من الآثار أيضا تقريب المسافة المكانية بين القطرين ، بحيث دلت كثافة الاتصالات على هذه الحقيقة إلى درجة يمكن أن ف حدها تحطيما لرقم قياسي في الاتصال بما كشف – دون شك – على التطور الكبير الذي حصل في وسائل الاتصال من تنظيم للبريد ، وإحكام عمله ، والخبرة المتزايدة بشؤون ركوب البحر. ولاشك أن العامل الرئيس الذي مكن من هذا التواصل السريع ، بالمقارنة مع التواصل الذي كان سائدا قبل الموقع الجغرافي الجديد الذي أصبحت الأندلس تحتله على عهد هذه الدويلة الصغيرة ، ألا وهو الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة الأندلسية ، الذي لا يبعد كثيرا عن السواحل المغربية في بر العدوة .

– من الآثار أيضا تبادل الكفاءات في مختلف المجالات الثقافية والدينية وغيرها. وكذلك الأمر بالنسبة لخطة القضاء ، ورسم كتابة الدولة ، خاصة إذا علمنا أن الأندلس على ذلك العهد كانت تتوفر على كفاءات فكرية ودينية وأدبية عديدة ، ضمنت التأثير في المغرب عن طريق الزيارات المختلفة، سواء من قبل العلماء أو الطلبة، وساعدت على مد الجسور في هذه المجالات المذكورة، كما أن المغرب نفسه كان يحتضن العديد من الشخصيات الأندلسية الهامة العائدة من حيث الأصل إلى الأسر الأندلسية المهاجرة من قواعدها الأندلسية التي سقطت في أيدي النصارى .

– التأثير و التأثر المتبادل من الناحية الاجتماعية والعمرانية ، و في هذه الناحية كانت الأندلس أيضا قوية في تأثيرها ، لما كانت تتمتع به من تقدم حضاري كبير ، ساعد عليه تراكم الخبرات بتراكم السنين ، التي عرف بها أهل الأندلس الاستقرار والازدهار كما هو معروف . يقول ابن خلدون مؤكدا هذه الحقيقة الحضارية والتاريخية في فصل " في أن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة و طول أمدها ، وهذا كالحال في الأندلس لهذا العهد : فإننا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة ، وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد أمصارها ..... وما ذلك إلا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيها برسوخ الدولة الأموية وما قبلها من دولة القوط " .

وهذه العوامل كلها كافية لفرض التأثير من قبل الأندلس كما تؤكد ذلك السنن الاجتماعية والحضارية ، عندما يكون التواصل واسعا .

– التأثير الذي يضمن تحقيق ما يرد في طي المكاتبات من مطالب مادية ، تقتضيها الظروف الصعبة ، كما رأينا في المكاتبات التي كانت بغرض الاستنجاد ، و طلب الإمداد المادي و العسكري . وهذا راجع إلى العناصر الشكلية للتواصل الدبلوماسي . أكبر شاهد على ذلك السفارة التي ترأسها ابن الخطيب ، واستهلها عند الوصول بقراءته الشعرية. وكان تصريح سلطان المغرب على الفور بإنجاز كل ما جاء لطلبه ، دون أن يعرف ماهية الطحلب . وهذا ما كان ليكون لولا قوة العناصر المشكلة لهذا التواصل كما ذكرت ، المتمثلة في شخصية ابن الخطيب الفذة ذات الوزن السياسي والعلمي المعروف ، وكذلك أسلوب الرسالة الدبلوماسية القوي المؤثر الذي عرف به ابن الخطيب كما ذكرنا .

– من آثار هذا التواصل أيضا التخفيف من حدة التكالب على الأندلس من جهة العدو النصراني . ولقد أشار ابن الخطيب إلى هذه الحقيقة في أكثر من رسالة . لقد كان النصارى يخشون دائما هذا التحالف والتعاون بين الأندلس والمغرب ، يخشونه مخافة أن يحول دون تحقيق أطماع التوسع على حساب هذه الدولة الصغيرة ، ويخشونه أيضا مخافة أن يشكل التحالف دولة قوية موحدة تأخذ على عاتقها مهمة استرجاع القواعد الأندلسية التي اغتصبوها إبان ضعف المسلمين .

الملاحق

الملحق رقم 01

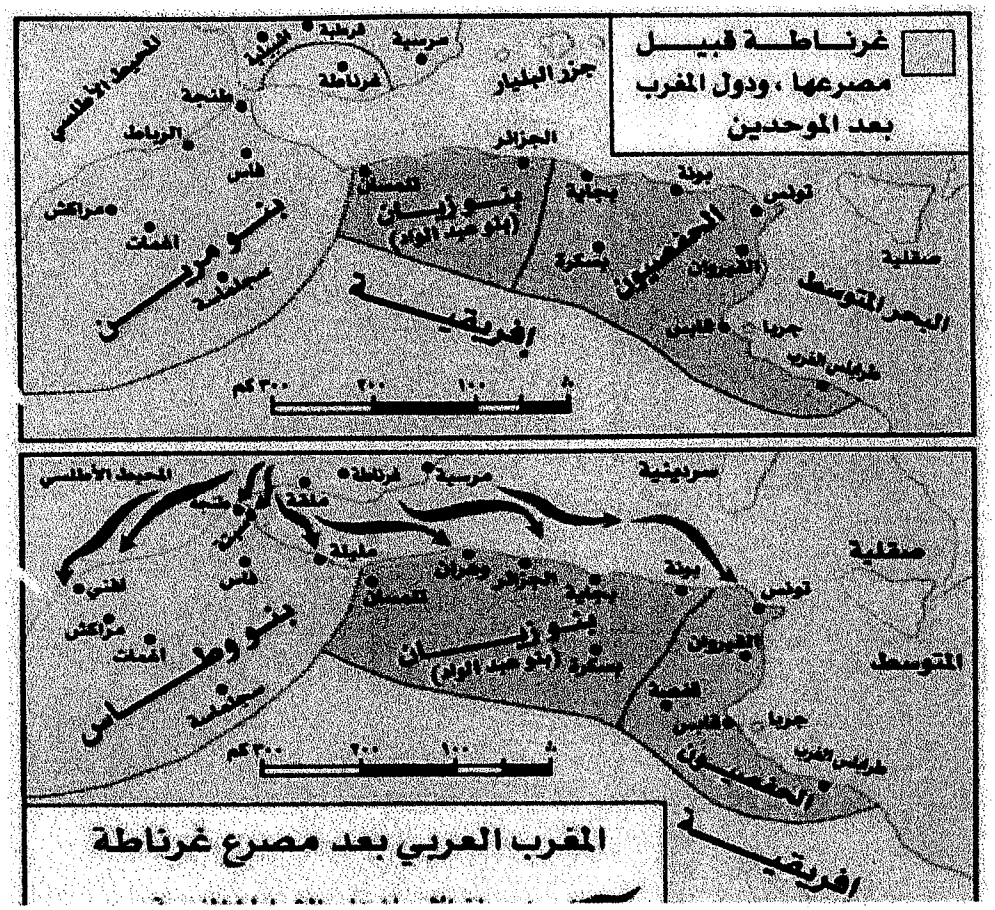

شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، ط 12 ، دار الفكر ، دمشق 2005 ، ص 84 .

الملحق رقم 02

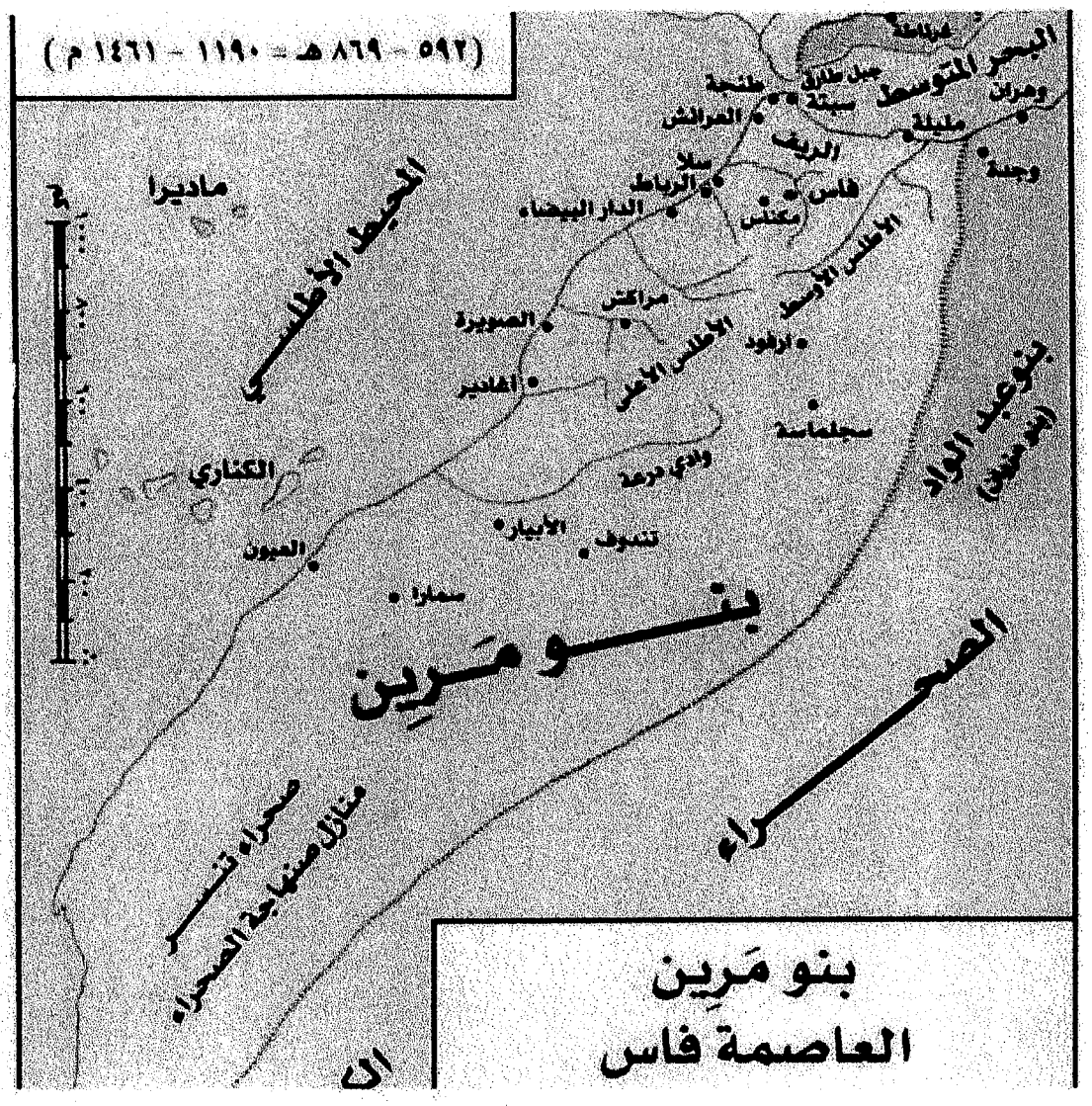

شوقي أبو خليل ، المرجع السابق، ص 80 .

الملحق رقم 03

المدرسة البوعنانية

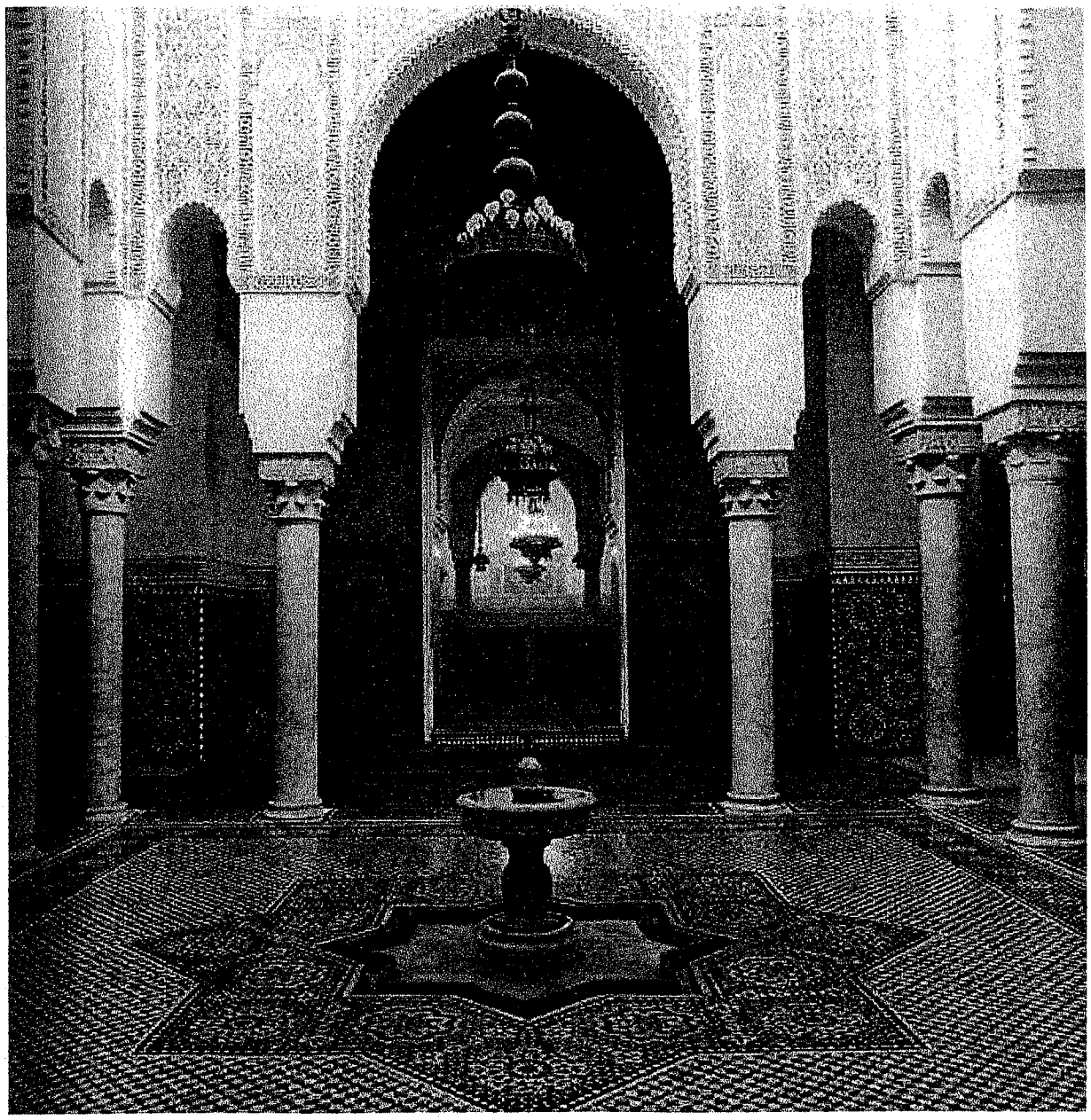

عبد العلي بلامين ، المرجع السابق ، ص 39 .

الملحق رقم 04

مدرسة العطارين

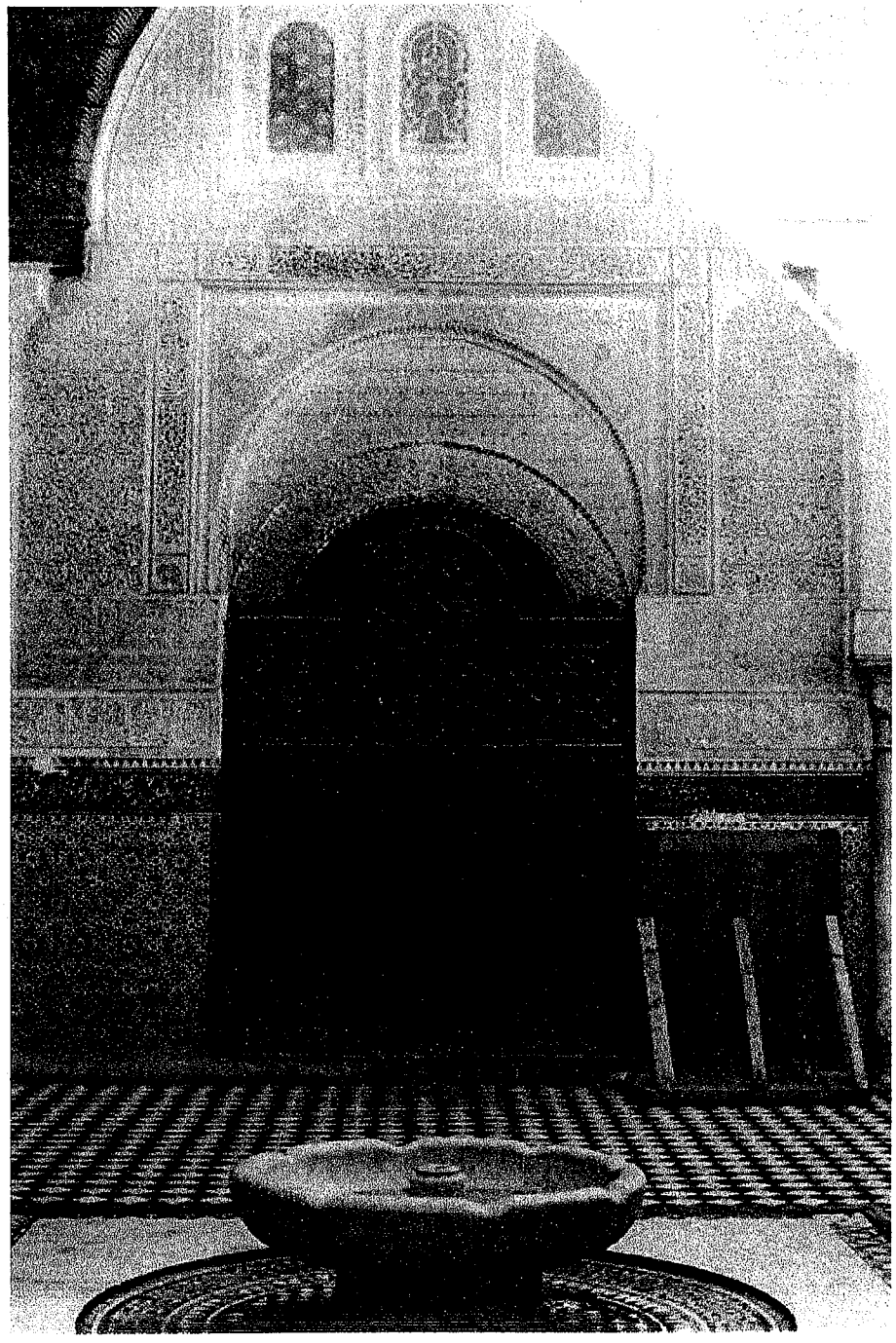

الملحق رقم 05

مدرسة الصهريج

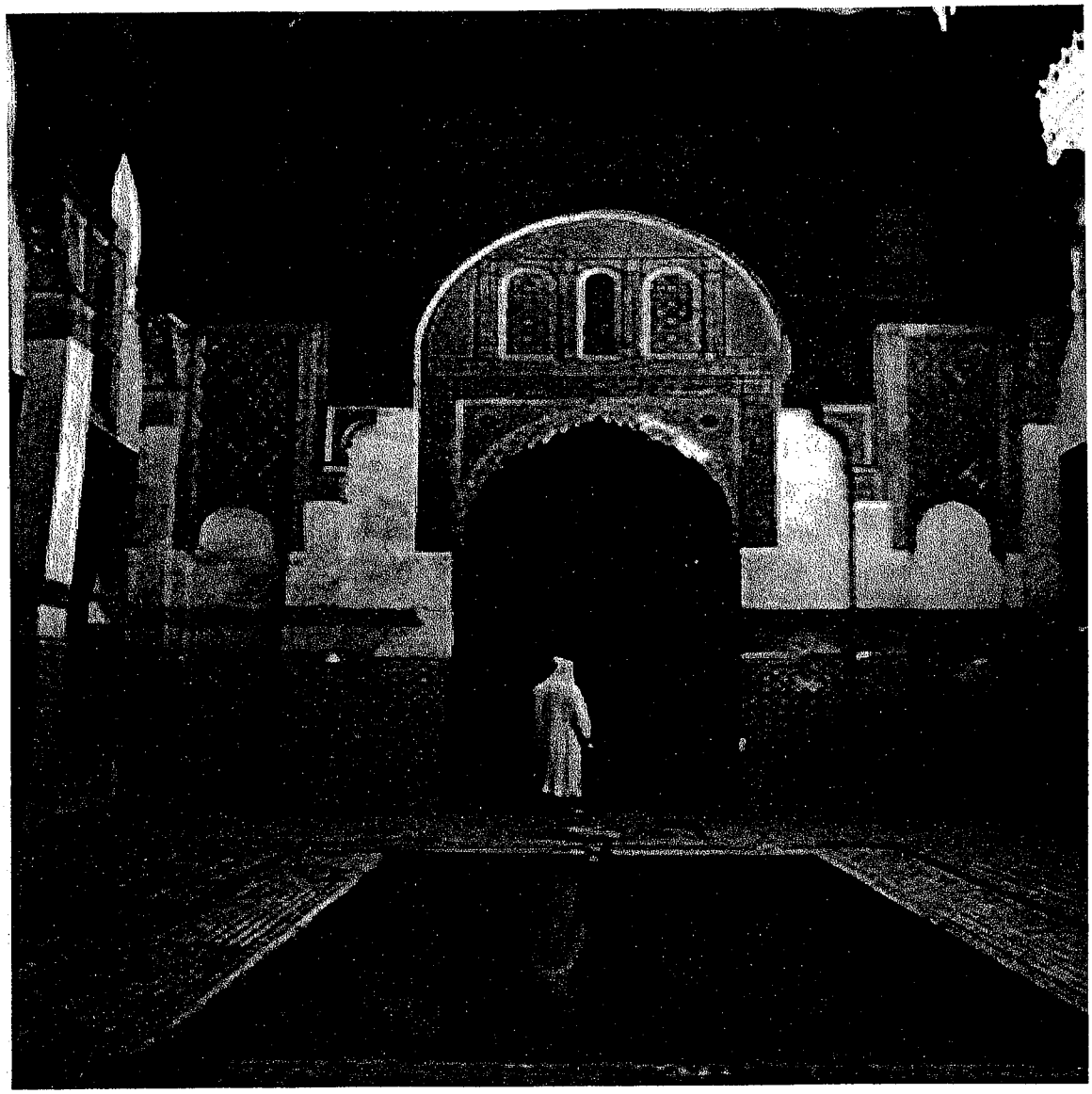

عبد العلي بلامين ، المرجع السابق ، ص 36 .

الملحق رقم 06

شجرة نسب بني مرين

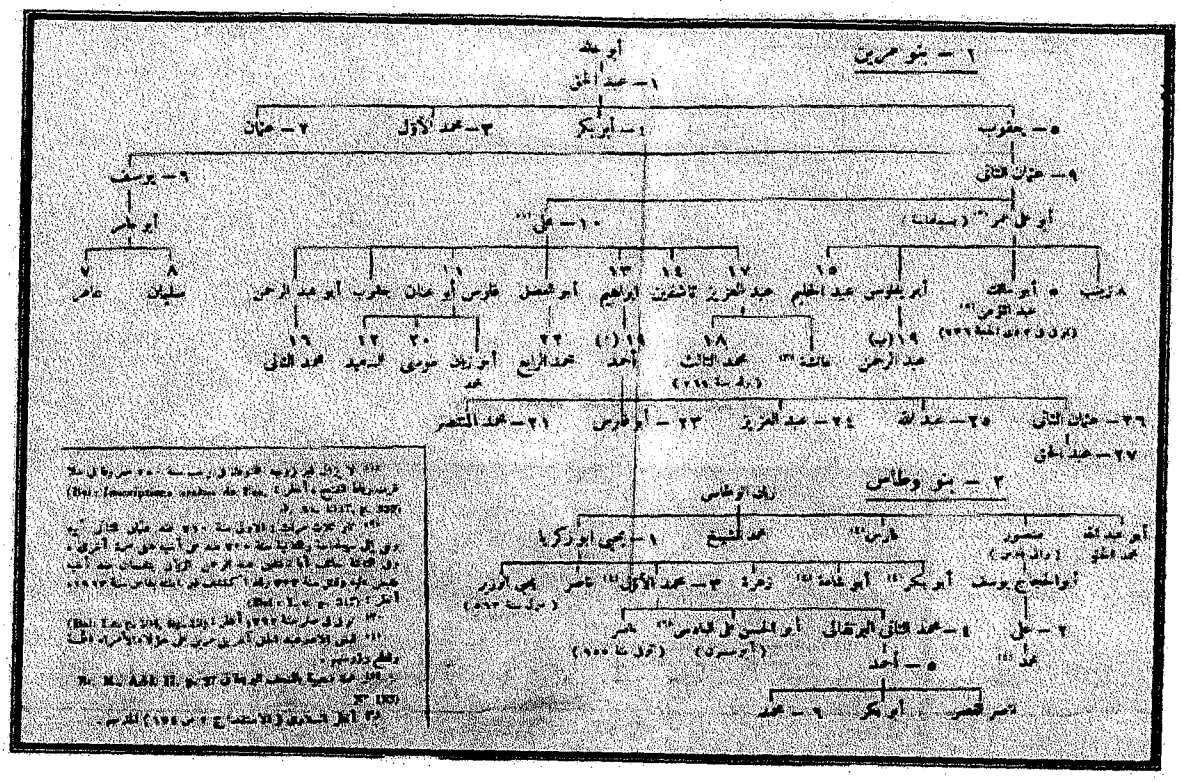

عبد العلي بلامين ، المرجع السابق ، ص 13 .

الملحق رقم 07

صومعة الجامع الكبير بفاس الجديد

عبد العلي بلامين ، المرجع السابق ، ص 31 .

الملحق رقم 08

مدرسة الصفارين

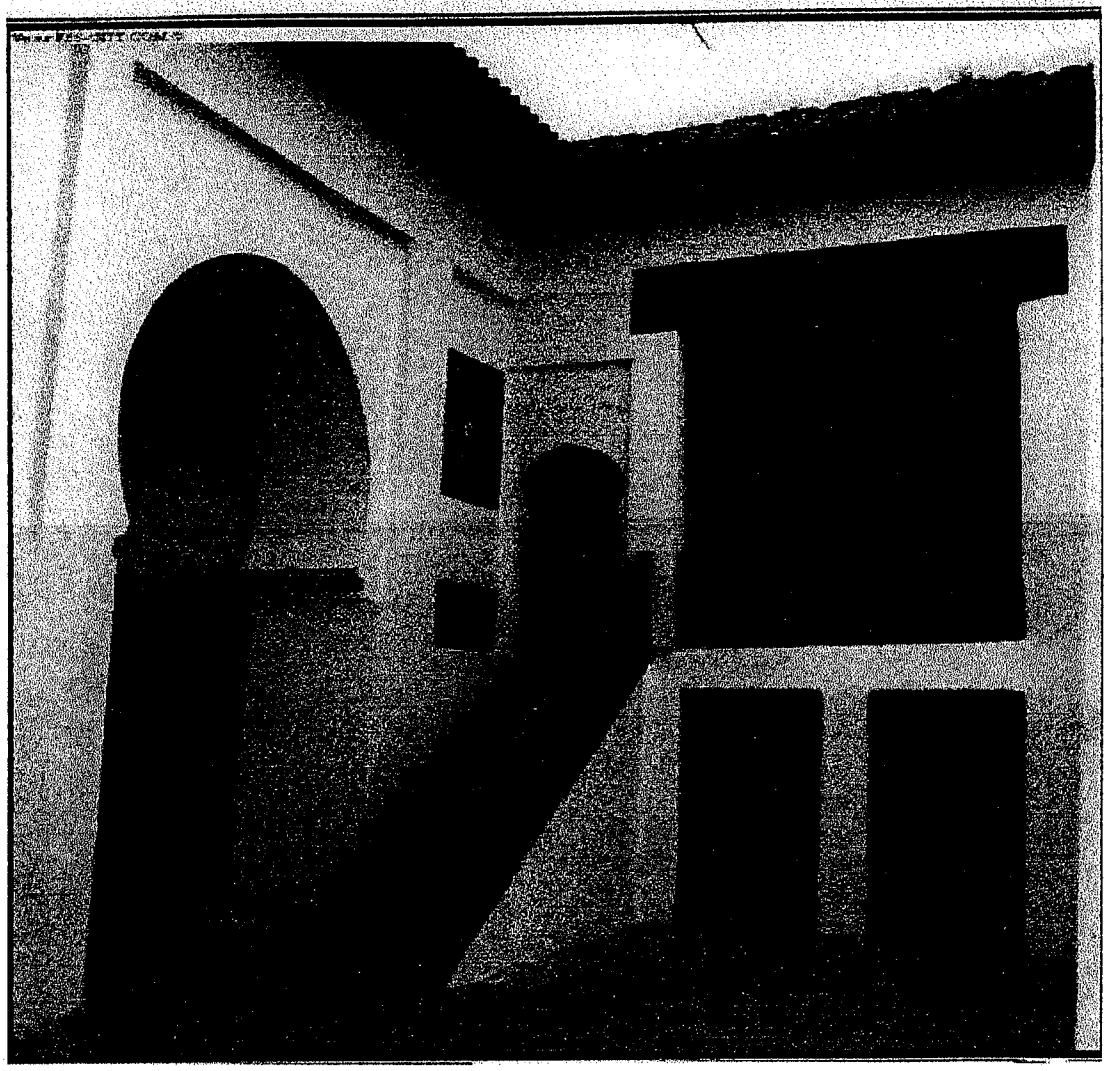

عبد العلي بلامين ، المرجع السابق ، ص 35 .

الملحق رقم 09

جانب من أحد الأسوار الداخلية من قلعة المدور

عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص 293 .

الملحق رقم 10

غرناطة . واجهة الكنيسة العظمى

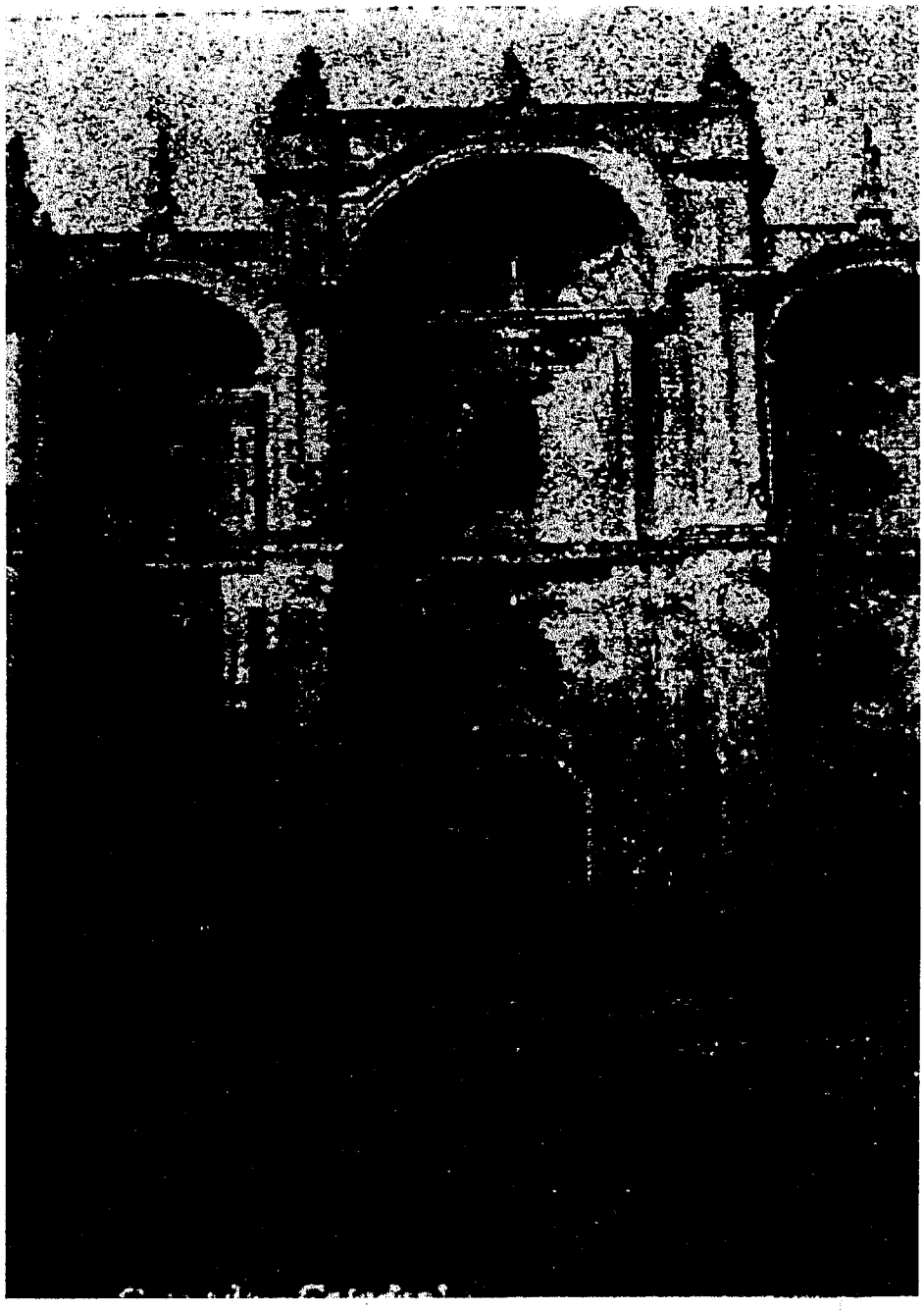

عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص 337 .

الملحق رقم 11

الحمراء . ساحة البركة

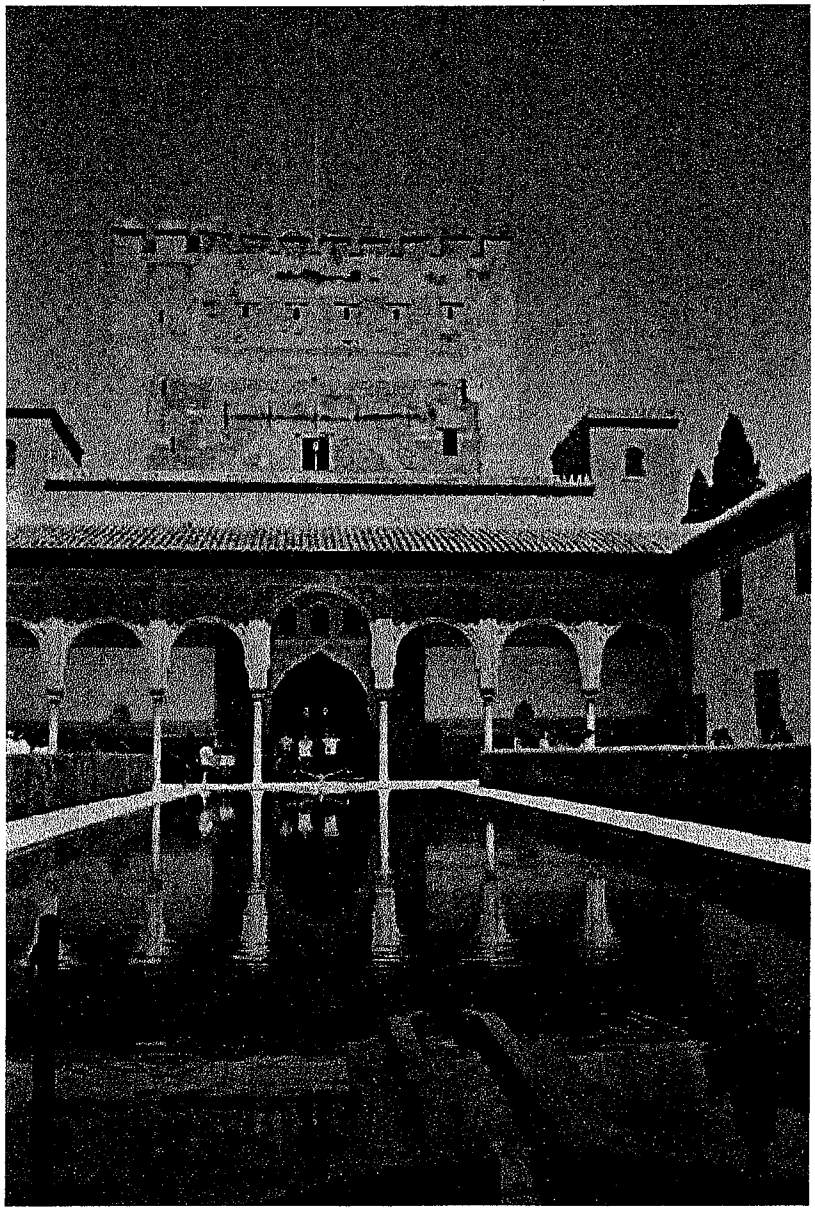

عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص 337 .

الملحق رقم 12

متحف مدريد . إقرار أبي عبد الله آخر ملوك الأندلس بقبول معاهدة الإستسلام

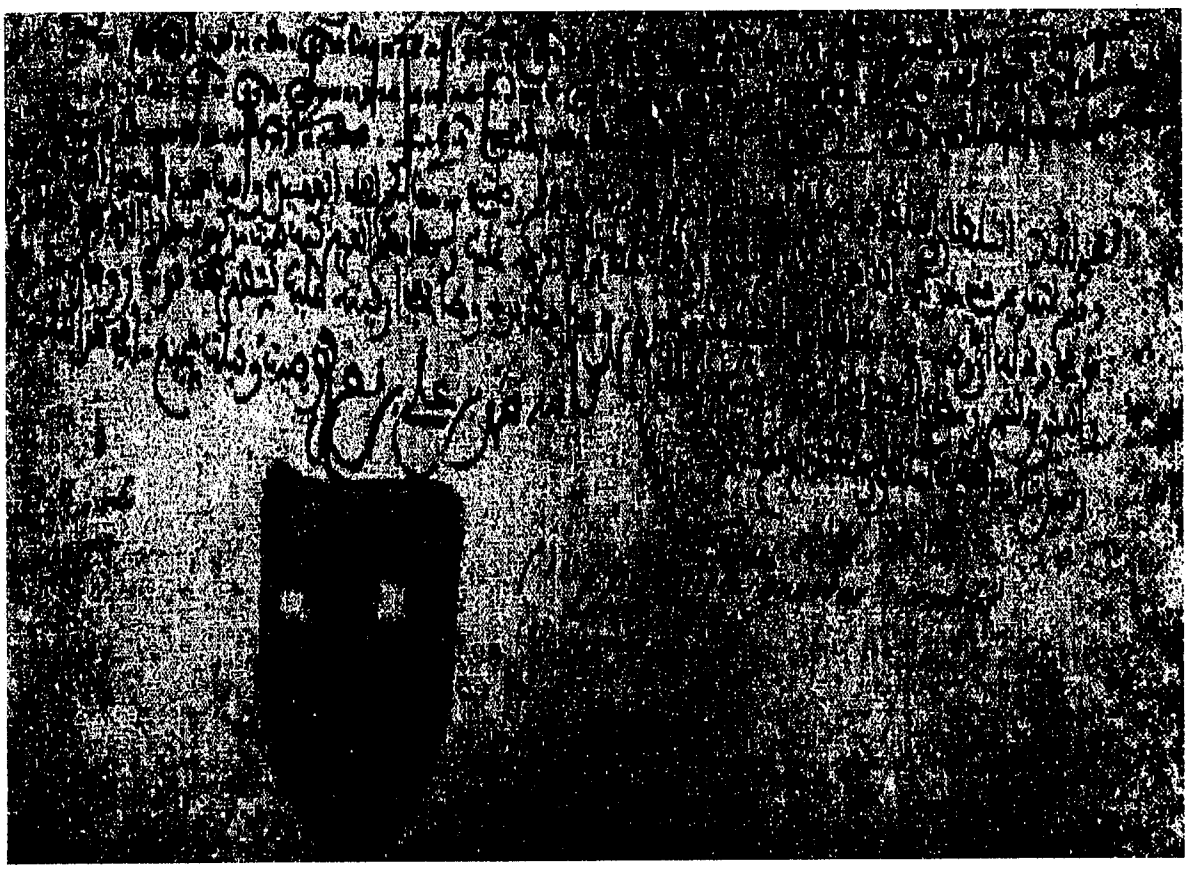

عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص 337 .

البيبليوغرافيا

❖ القرآن الكريم ، رواية ورش ، دار المصحف ، بيروت 1975 .

المـــصـــادر :

1- ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ، الطبعة الأولى ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس 1286 هـ .

2- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1972 .

3- (ـــــــ ـــــــ) ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1972 .

4- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، مطبوعات القصر الملكي ، المطبعة الملكية ، الرباط 1962 .

5- ابن الخطيب لسان الدين ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق إ. ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية ، دار المكشوف، بيروت 1956 .

6- (ـــــــ ـــــــ) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف ، القاهرة 1956 .

7- (ـــــــ ـــــــ) ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1347 هـ .

8- (ـــــــ ـــــــ) ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2003 .

9- ابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي ، ذرة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، دار التراث ، المكتبة العتيقة ، القاهرة ، تونس 1970 .

10- ابن خلدون عبد الرحمن ، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا و غربا ، تحقيق و تعليق محمد بن تاوية الطنجي ، لجنة التأليف و النشر ، القاهرة 1951 .

11- (ـــــــ ـــــــ) ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المطبعة المصرية ، بولاق 1284 هـ .

12- (ـــــــ ـــــــ) ، المقدمة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت 2007.

13- ابن رشيد السبتي ، ملء العيبة بما جمع بطوال الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة و طيبة ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، الجزء الخامس ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 .

14- ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت 1996 .

15- ابن قنفذ القسنطيني ، أنس الفقير و عز الحقير ، تحقيق محمد الفاسي و أدولف فور ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط 1965.

16- (ـــــــ ـــــــ) ، الـــوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت 1982.

17- ابن مرزوق أبو عبد الله محمد الخطيب ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس ، تقديم محمود بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981 .

18- الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت 1989.

19- التنبكتي أحمد بابا ، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق علي عمر ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2004 .

20- الجزنائي ، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب منصور ، الطبعة الثانية ، المطبعة الملكية ، الرباط 1991 .

21- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت 1977 .

22- الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الأولى ، مكتبة لبنان ، لبنان 1975 .

23- (ـــــــ ـــــــ) ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تعليق إ.ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت 1988 .

24- الزركشي محمد بن إبراهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس 1966 .

25- السبتي محمد بن القاسم الأنصاري ، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الطبعة الثانية ، الرباط 1983 .

26- العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد ، رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية ، تحقيق سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث و الدراسات ، الجزائر 2007 .

27- القزويني زكريا محمد بن محمود ، آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت (د.ت) .

28- القلصادي أبي الحسن علي الأندلسي ، رحـــلة القلصادي ، دراسة و تحقيق محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس 1978 .

29- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة 1963 .

30- الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس ، سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس ، الجزء الثالث ، مطبعة حجر ، فاس 1316 هـــ .

31- مؤلف مجهول ، الإستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1986 .

32- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمامة ، الطبعة الأولى ، دار الرشاد ، الدار البيضاء 1979 .

33- مؤلف مجهول ، تـــاريخ الأندلس ، تحقيق عبد القادر بوباية ، الطبعة الأولى ، دار لكتب العلمية، بيروت 2007 .

34- مؤلف مجهول ، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر ، تحقيق ألفريد البستاني ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2002 .

35- مارمول كربخال ، إفـــريقيا ، ترجمة محمد حجي و آخرون ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط 1984 .

36- المراكشي ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ، بيروت 1983 .

37- المراكشي محي الدين عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد السعيد العريان و محمد العلمي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة 1949 .

38- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1988 .

39- (ـــــــ ـــــــ) ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق إبراهيم الأبياري و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة 1939 .

40- الناصري أحمد أبو العباس السلاوي ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء 1955 .

41- النميري ابن الحاج ، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيد إلى قسنطينة و الزاب ، تحقيق محمد بن شقرون ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1990 .

42- الوزان الحسن بن محمد ، وصف إفـــريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1983 .

43- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي ، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب ، تحقيق محمد حجي ، الجزء الثاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1981 .

44- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ، البـــلدان ، منشورات محمد علي بيضون ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2002 .

المراجع :

1- باللغة العربية :

1- ابن شقرون محمد بن أحمد ، مظـــاهر الثقافة المغربية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء 1985 .

2- أبو خليل شوقي ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، الطبعة الثانية عشر ، دار الفكر ، دمشق 2005 .

3- بالنثيا أنخيل جنثالث ، تـــاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (د ت) .

4- أبو ضيف مصطفى أحمد عمر ، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 .

5- البتنوني محمد لبيب ، رحلة الأندلس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1998 .

6- التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، المجلد السابع (عهد بني مرين و الوطاسيين) ، مطابع فضالة ، المحمدية 1986.

7- جوليان شارل أندري ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، (د م) 1969 .

8- الحريري محمد عيسى ، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، الكويت 1987 .

9- زامبارو ، معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة زكي محمد حسين بك و حسين أحمد محمود ، دار الرائد العربي ، بيروت 1980.

10- سالم عبد العزيز ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية ، بيروت 1969 م .

11- (ــــــــ ــــــــ) ، تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت 1981 .

12- ستانلي لين بول ، الـــدول الإسلامية ، ترجمة أحمد دهمان و محمد صبحي فرزات ، الطبعة الأولى ، مكتب الدراسات الإسلامية ، دمشق 1973 .

13- شبارو عصام محمد ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت 2002 .

14- الشريف محمد ، من مظاهر التواصل الحضاري بين المغرب المريني و غرناطة النصرية ، ندوة مثلث الأندلس ، قصبة الأوداية ، الرباط أكتوبر 2003 .

15- الشطشاط علي حسين ، تاريخ الإسلام في الأندلس ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة 2001 .

16- (ــــــــ ــــــــ) ، نهاية الوجود العربي في الأندلس ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة 2001 .

17- شكيب أرسلان ، خــلاصة تاريخ الأندلس ، دار مكتبة الحياة ، لبنان 1983.

18- طقوش محمد سهيل ، التاريخ الإسلامي الوجيز ، الطبعة الأولى ، دار النفائس للطباعة و النشر ، بيروت 2002 م .

19- العبادي أحمد مختار ، صور من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس ، الطبعة الأولى ، مطبعة سامي و شركاه ، الإسكندرية 2000 .

20- عنان محمد عبد الله ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال ، دراسة تاريخية أثرية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1997 .

21- (ــــــــ ــــــــ) ، دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الموحدين، الجزء الرابع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2002 .

22- (——— ———) ، نهاية الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1997 .

23- فرحات يوسف شكري ، غرناطة في ظل بني الأحمر ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت 1993 .

24- كولان.ج.س ، الأنـــدلـــس ، ترجمة إبراهيم خورشيد و آخرون ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، القاهرة 1980 .

25- لوتورنو روجيه ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نقولا زيادة ، مؤسسة فرنكلين للطباعة و النشر ، بيروت 1967 .

26- مؤنس حسين ، تاريخ المغرب و حضارته ، المجلد الثاني ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1996 .

27- نصر الله سعدون ، تاريخ العرب السياسي في الأندلس ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت 1998 .

28- نواب عواطف محمد يوسف ، الرحلات المغربية و الأندلسية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض 1996 .

2- باللغة الأجنبية :

1 - Abdallah Laraoui, The history of the maghrib , pinceton university, new jersey 1977 .

2 - Atallah Dhina , les états de l'occident musulman aux 13,14,15 siècle, opu-enal, alger 1984 .

3 - Don Francisco Javier Simonet , Descrion del rieno de Granada , imprinta nacional , Madrid 1860.

4 - Jean Brignon , Abdelazize Amine et autres , Histoire du Maroc , librairie nationale , Casablanca 1967 .

5 - Marçais, (G), L'architecture musulmane d'occident, Paris 1955.

الرسائل و الأطروحات الجامعية :

1- بوحسون عبد القادر ، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، تلمسان 2008 .

2- بلامين عبد العلي ، بغية السائلين عن عالم القرويين في عصر بني مرين ، بحث لنيل الإجازة في شعبة الدراسات الإسلامية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس 2006 .

3- بكاي هوارية ، العلاقات السياسية و الثقافية بين الدولتين الزيانية و المرينية ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، تلمسان 2008 .

4- لقريز العربي ، مدارس السلطان أبي الحسن (مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا ، دراسة أثرية و فنية) ، مذكرة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية ، تلمسان 2001 .

5- عاشور بوشامة ، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب و الأندلس (626-971 هـ / 1228-1572 م) ، مذكرة ماجستير ، جامعة القاهرة 1991 .

المجلات و الدوريات :

1- حجّي محمد ، سيدي الإمام السلاوي 788 هـ/1376 م ، مجلة أبو رقراق ، جمعية أبي رقراق ، العدد التاسع ، سلا سبتمبر 1991 .

2- حمادة محمد ماهر ، الكتب و المكتبات في الأندلس ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد السادس ، الرياض 1982 .

3- الخريبكي أبو الوليد أيوب ، أبو الحسن الصغير ، مجلة دعوة الحق ، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية .

4- العبادي أحمد مختار ، فترة مضطربة في تاريخ غرناطة ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية المجلد السابع و الثامن ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد 1959 – 1960 .

5- فياض صالح محمد ، التبادل الفكري بين المغرب و الأندلس و شبه الجزيرة العربية ، العدد الثاني ، السنة 12 ، مجلة الدارة ، 1987 ، ص 98 .

6- محمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي ، تاريخ المدرسة المرينية بطالعة سلا ، تحقيق عبد العزيز الساوري ، مجلة دعوة الحق ، السنة 33 ، العدد 293 ، الرباط 1992 م .

الفهرس

مقدمة .....أ

مدخل 8

الفصل الأول: الأوضاع السياسية في الدولتين

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الدولة المرينية

1- نسبهم و موطنهم 20

2- بداية ظهورهم 21

3- قيام الدولة المرينية 23

4- توسعات بني مرين 29

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في الدولة النصرية

1- نسب بني نصر 34

2- محمد بن الأحمر الأول و تأسيس الدولة 37

3- سلاطين بني نصر و الصراع مع النصارى 42

4- سقوط غرناطة و معاهدة الاستسلام 43

الفصل الثاني: الأوضاع الثقافية في الدولتين

المبحث الأول : الأوضاع الثقافية في الدولة المرينية

1- المؤسسات الثقافية 48

1.1- المساجد 48

2.1- المدارس 50

3.1- الزوايا 58

2- أصناف العلوم 59

- العلوم النقلية 60
- العلوم العقلية 69

المبحث الثاني : الأوضاع الثقافية في الدولة النصرية

1- المؤسسات الثقافية 72
1.1- المساجد 72
2.1- المدارس 73
3.1- المكتبات 74
2- أصناف العلوم 76
- العلوم النقلية 76
- العلوم العقلية 87

الفصل الثالث : العلاقات الثقافية بين الدولتين

المبحث الأول: العوامل المتحكمة في العلاقات

1- الجهاد في الأندلس 90
2- الرحلة 93
3 – حرية تنقل العلماء بين الدولتين 96

المبحث الثاني: مظاهر العلاقات

1- المجالس السلطانية 98
2- الرسائل السلطانية 100

خاتمة 104
الملاحق 110

البيبليوغرافيا 123
الفهرس 135